مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

مقـامات ذكـر الفقر والغنى في القرآن الكريم في النظم الواحد: دراسة بلاغية

د. عبدالرحيم إبراهيم عبدالرحيم محمد

مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا – جامعة الأزهر

DOI: 10.21608/QARTS.2023.168563.1533

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٧) أكتوبر ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

مقامات ذكر الفقر والغنى في القرآن الكريم في النظم الواحد:

دراسة بلاغية

الملخص:

هذا، وقد كشف البحث عن تناسب ذكر الفقر والغنى وما في معناهما في السياق واصطفاء الأساليب، وقد ساهم ذلك في المساعدة على فهم النص القرآني، وإيضاح معناه، والإسهام بشكل كبير في الروابط والصلات بين آياته، وتناول أيضًا التعبير بلفظي الفقر والغنى وما في معناهما ـ ولا سيما في النظم الواحد ـ عن بعض أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، مما يكون له كبير الأثر في ترسيخ العقيدة في القلوب، ومعالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية.

وقد احتوى البحث على مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، يتلوه خاتمة، وفهارس، وقد تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، والخطة التي انتظم عليها البحث، وتحدثت في التمهيد إطلالة على العنوان وآيات الفقر والغني في القرآن الكريم في النظم الواحد، والمقام وأثره في اصطفاء الأساليب، والفروق الدقيقة بين الفقر والغنى وما في معناهما، وتناول المبحث الأول الفقر والغنى في سياق الوعظ والإرشاد، والمبحث الثاني الفقر والغنى في سياق القدرة الإلهية، والثالث الفقر والغنى في سياق التهديد، والرابع في سياق أحكام الأسرة، والخامس في سياق التذكير والتبشير، والسادس في سياق حال الإنسان .

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الفقر والغنى، النظم الواحد.

المقـدمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــد،،،

فإن السمة التعبيرية لمقامات ذكر الفقر والغنى وما في معناهما في القرآن الكريم، واضحة المعاني والأغراض، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب؛ لذا يندر أن تجد قضية تعبيرية في القرآن الكريم لا يكون للسياق نصيب فيها، فالقرآن الكريم " لا تنقضي عجائبه، ومفيدًا لا تنقطع فوائده " [1]، وحديث القرآن الكريم عن الغنى والفقر في المقامات المختلفة، يعكس مدى الإقناع والتأثير على السامع؛ لأن النفس البشرية تقتضي التنويع في الأساليب التي لها قدرة على تحريك قوى الإنسان الفكرية والعقلية والعقدية .

ولقد تناسب ذكر الفقر والغنى وما في معناهما، وتنوعت مقاماتهما، وتآزرت فيما بينها حتى صارت كأجزاء الكلمة الواحدة؛ تنادي كل آية أختها، ويستدعي كل معنى من معانيها المقام الذي جاء من أجله ذكر لفظي الفقر والغنى وما في معناهما، فكان لتناسب معانيها أثره في اصطفاء أساليبها، ودوره في إيثار كل لفظة من ألفاظها.

ويتجلى ذكر لفظي الفقر والغنى وما في معناهما في المقامات المختلفة، في المساعدة على فهم النص القرآني، وإيضاح معناه، والإسهام بشكل كبير في الروابط والصلات بين آياته، ومن هنا فإن ذكر لفظي الفقر والغنى وما في معناهما ولا سيما

---

١ – تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تح/إبراهيم شمس الدين (ص:١١)، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، موافق للمطبوع المكتبة الشاملة.

في النظم الواحد، سبيل من سبل الكشف عن بعض أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، مما يكون له كبير الأثر في ترسيخ العقيدة في القلوب، ومعالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية؛ لأجل هذا توجهت إلى دراسة آيات الفقر والغنى التي جاءت بعنوان : "**مقامات ذكر الفقر والغنى في القرآن الكريم في النظم الواحد دراسة بلاغية**" .

وقد دفعني إلى دراسة هذا الموضوع عدة أسباب أهمها:

أولًا ـ التدبر والتأمل في آيات ذكر الفقر والغنى وما في معناهما في النظم الواحد، وبيان ارتباط كل آية بسياقها، وإبراز وجه التناسب بينهما؛ للوقوف على دور التناسب في تحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومدى تأثير اختيار اللفظة في النص القرآني، وبيان أوجه بعض إعجازه .

ثانيًا ـ الجمع بين الغنى والفقر في القرآن الكريم من الأساليب البارزة التي لم تأت صدفة، وإنما كان الغرض منها مقصودًا؛ ولهذا كان الوقوف عليها وإظهار بعض خصائصها ـ من خلال دراسة علمية ـ من الأهمية بمكان.

ثالثًا ـ إيثار آيات الفقر والغنى وما في معناهما في النظم الواحد؛ لبيان القيمة البلاغية في الجمع بين الضدين، ومدى تأثير ذلك على السامع والمخاطب.

الدراسات السابقة:

لم أعلم ـ على حد علمي ـ أي من الدراسات قد قام بدراسة مقامات (الفقر، الغنى) وما في معناهما في النظم الواحد بدراسة مستقلة، وإنما كانت هناك دراسات قامت بدراسة الفقر وعلاجه في ضوء القرآن الكريم، والمقابلة كمحسن بديعي، فمن هذه الدراسات :

– الفقر والفقراء في ضوء القرآن " دراسة موضوعية حول الفقر أسبابه وعلاجه" إعداد/ يواندا كوسوما، بحث مقدم لاستكمال مطالب الحصول على درجة

(الماجستير)، رقم (٠٨٧٥٠٠٠٧)، إشراف/د. شيخون محمد سليمان، والدكتور/منير العابدين، كلية الدراسات العلية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية، أندونيسيا، سنة (١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م).

- المقابلة في القرآن الكريم للدكتور/بن عيسى باطاهر، مكتبة لسان العرب، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .
- أسلوب التقابل في الربع الأخير في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة (الماجستير)، إعداد/عماري عز الدين، إشراف، أ.د/حجيج معمر، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجزائر، سنة (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) .

هذا، وقد جاء منهج الدراسة لهذا البحث مشتملًا على المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على استقراء آيات الفقر والغنى وما في معناهما في النظم الواحد، وتتبع المقامات التي تضمنتها، ثم توزيعها حسب المباحث الواردة في البحث، وإبراز دور التناسب في اصطفاء كل لفظة ومدى ملائمتها للسياق الواردة فيه، وتحليل ذلك تحليلًا بلاغيًا يميط اللثام عنها، ويبرز دور تعانق الألفاظ مع المعاني، مع الإفادة من نفيس ما كتبه المفسرون في شروحهم.

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وفهارس .

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في هذه الدراسة، والخطة التي سرت عليها.

والتمهيد: جاء في ثلاثة محاور:

المحور الأول: إطلالة على العنوان، وآيات الفقر والغنى في النظم الواحد.

المحور الثاني: المقام وأثره في اصطفاء الأساليب .

المحور الثالث: الفروق الدقيقة بين الفقر والغنى وما في معناهما.

وجاءت مباحث الدراسة على النحو التالي:

المبحث الأول: الفقر والغنى في سياق الوعظ والإرشاد .

المبحث الثاني: الفقر والغنى في سياق القدرة الإلهية .

المبحث الثالث: الفقر والغنى في سياق التهديد .

المبحث الرابع: الفقر والغنى في سياق أحكام الأسرة .

المبحث الخامس: الفقر والغنى في سياق التذكير والتبشير.

المبحث السادس: الفقر والغنى في سياق حال الإنسان .

الخاتمة: وتحوي أهم نتائج البحث .

الفهارس: وتحوي فهرسًا للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات .

وختامًا: الله أسأل أن يتقبل هذا العمل وأن يتجاوز عما فيه من سهو أو زلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المحور الأول

إطلالة على العنوان، وآيات الفقر والغنى في النظم الواحد

جاء هذا البحث بعنوان: (مقامات ذكر الفقر والغنى في النظم الواحد دراسة بلاغية)، فالمقامات جمع مقام والمقام هو: الأحوال الداعية إلى إيراد الكلام على وجه مخصوص وكيفية معينة حيث إنه المنزلة التي حل فيها ذلك الوجه والأسلوب من الكلام [١].

والفقر: "عبارة عن فقد ما يُحتاج إليه؛ أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرًا "[٢].

والغنى: ضد الفقر، وهو أن يكون عنده من الكفاية والمؤنة ما لا يحتاج به إلى غيره[٣].

النظم لغة : " التأليف، نظمه ينظمه نظمًا ونظامًا ونظمه فانتظم وتنظم، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك...، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته"[٤] .

والنظم اصطلاحًا: " هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل " [٥]، ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للنظم،

---

١ – ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الكفوي(ت: ١٠٩٤هـ)، تح/عدنان درويش، محمد المصري (ص٣٧٤)، ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .

٢ – كتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تح/جماعة من العلماء بإشراف الناشر (ص:١٦٨)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

٣ – ينظر: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للقاضي عبد النبي الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية/ حسن هاني فحص (٨/٣)، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٤ – لسان العرب لابن منظور، مادة (ن ظ م)، (٥٧٨/١٢)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٥ – ينظر: كتاب التعريفات (ص٢٤٢) .

نستطيع أن نوضح المفهوم من النظم الواحد للآيات القرآنية التي ذكر فيها الفقر والغنى وما في معناهما بسهولة ويسر، فالآيات التي يشملها التعريف هي الآيات المشتملة على لفظي الفقر والغنى وما في معناهما بطريقة التقابل والضدية في الموضع الواحد أو الآية الواحدة، أو الآية التي تليها مباشرة، وهذا التعريف يخرج ما كان الفقر والغنى أو ما يدل عليهما على وجه الانفراد، كقوله ـ تعالى ـ على لسان سيدنا موسى : (فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [١]، وقوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [٢]، وقوله تعالى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [٣] ...إلخ، فالآيات التي يشملها البحث توضح قيمة التقابل بين الفقر والغنى وما يرادفهما في المقام الذي سيق النظم من أجله .

هذا، وقد ورد الفقر والغنى في القرآن الكريم وما في معناهما في أربعة وعشرين موضعًا في النظم الواحد[٤]، موزعة على عشرين سورة بعضها مكي والآخر مدني .

وفيما يلي جدول يوضح الآيات، وألفاظ الفقر والغنى وما في معناهما في النظم الواحد، ونزول السورة، ورقم الآية :

---

١ – سورة القصص، الآية (٢٤).

٢ – سورة التوبة، الآية (٦٠).

٣ – سورة التوبة، الآية (٩٣).

٤ – ينظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني لعبدالله إبراهيم جغلوم، مادة (غ ن ى)، (٨٥٧/٢، ٨٥٨)، ومادة (ف ق ر) (٨٨٢/٢)، ط١، طبعة مركز تفسير للدراسات القرآنية، السعودية،١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م .

م	لفظ	الآية	السورة	رقم الآية	مكي/مدنية
١	يبسط/يقدر	(إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)	الإسراء	٣٠	مكية
٢	يبسط/يقدر	وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ	القصص	٨٢	مكية
٣	يبسط/يقدر	(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)	العنكبوت	٦٢	مكية
٤	يبسط/يقدر	(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)	الروم	٣٧	مكية
٥	يبسط/يقدر	(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ... قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)	سبأ	٣٦، ٣٩	مكية
٦	الفقراء /الغني	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)	فاطر	١٥	مكية
٧	يبسط/يقدر	(أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)	الزمر	٥٢	مكية
٨	يبسط/يقدر	(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)	الشورى	١٢	مكية
٩	فأكرمه/فقدر	(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ)	الفجر	١٥، ١٦	مكية
١٠	عائلًا/فأغنى	(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)	الضحى	٨	مكية
١١	العسر /يسرا	(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)	الشرح	٥،٦	مكية

م	لفظ	الآية	السورة	رقم الآية	مكي/مدنية
١٢	الموسع/المقتر	(وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ)	البقرة	٢٣٦	مدنية
١٣	الفقر/فضلا/واسع	(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)	البقرة	٢٦٨	مدنية
١٤	للفقراء/أغنياء	(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ)	البقرة	٢٧٣	مدنية
١٥	عسرة/ميسرة	(وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ)	البقرة	٢٨٠	مدنية
١٦	فقير/أغنياء	(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)	آل عمران	١٨١	مدنية
١٧	غنيًا/فقيرًا	(وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)	النساء	٦	مدنية
١٨	غنيًا/فقيرًا	(إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا)	النساء	١٣٥	مدنية
١٩	عيلة/يغنيكم	(وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)	التوبة	٢٨	مدنية
٢٠	يبسط/يقدر	(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ)	الرعد	٢٦	مدنية
٢١	فقراء/يغنهم	(إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)	النور	٣٢	مدنية
٢٢	الغني/ الفقراء	(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ)	محمد	٣٨	مدنية
٢٣	للفقراء/فضلًا	(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)	الحشر	٨	مدنية

م	لفظ	الآية	السورة	رقم الآية	مكي/مدنية
٢٤	وجدكم/لتضيق وا/سعة/قدر/ عسر/ يسرا	(أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ... لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)	الطلاق	٦،٧	مدنية

وبعد استعراض الآيات الكريمة في الجدول السابق، نلحظ أن الفقر جاء في بعض الآيات مشتملًا على مفهوم الحاجة والفقد، كما في قوله تعالى: (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله)، وقوله تعالى: (والله الغني وأنتم الفقراء)، أو الحاجة إلى ضروريات الحياة، كما في قوله تعالى: (ومن كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف) توجيهًا لولي اليتيم .

وجاءت بعض هذه الآيات تشير إلى أن الغنى والفقر بيد الله ـ تعالى ـ كما في قوله: (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)، وبعضها يدل على كرم الله لرسوله ـ ﷺ ـ كما في قوله تعالى : (ووجدك عائلًا فأغنى)، وبعض هذه الآيات حث على مساعدة العاجزين على تكاليف الزوج، وبعضها حث على النفقة على الأسرة ...إلخ .

كما ظهر أن الآيات المدنية أكثر من الآيات المكية في اشتمالها على الفقر والغنى وما في معناهما؛ وهذا يدل على أن المسلمين حينما هاجروا إلى المدينة كانوا فقراء، فهم تركوا أموالهم وأرضهم وكل ما يملكون ابتغاء رضوان الله ورسوله ـ ﷺ ـ قال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [١]، فالتضحية لأجل الدين كانت عظيمة، فلهذا كانت ظاهرة الفقر أكثر في السور المدينة من السور المكية .

١- سورة الحشر، الآية (٨).

المحور الثاني

المقام وأثره في اصطفاء الأساليب

مما لاشك فيه أن أساليب اللغة العربية تتأثر بالسياق والمقام، ومن هذه الأساليب أسلوب القرآن الكريم، كون القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب.

هذا، وتعدد الأساليب القرآنية من إعجاز هذا الكتاب العزيز الذي يؤكد استمرارية الدعوة إلى يوم القيامة قال تعالى: (انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ)[١]، وتصريف الآيات أن تأتي الآية بأساليب مختلفة وصور متعددة في سياقها ومقامها ليعتبر الناس ويذكروا فينيبوا للخالق سبحانه [٢] .

وقد تحدث البلاغيون عن السياق حين عرفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، والحال عندهم مرادف للمقام، والذين فرقوا بين الحال والمقام قام تفريقهم على التكلف، أما الجمهور فلم يفرق بين الحال والمقام، والحال أو المقام عندهم هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يورد كلامه على طريقة ما[٣]، وقد ذكروا أن " ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له " [٤]، فالمقام عند هؤلاء سبب، وما تأتي عليه التراكيب مسبب عن

١- سورة الأنعام من الآية (٤٦) .

٢ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تح/أحمد محمد شاكر(٣٦٥/١١)، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

٣ - ينظر: شروح التلخيص (١٢٢/١)، ط السعادة، ١٣٤٢هـ، والأطول للعصام (٣٢/١، ٣٣)،ط، المطبعة السلطانية، ١٢٨٤هـ، وأثر السياق في اصطفاء الأساليب للأستاذ الدكتور/ إبراهيم صلاح الهدهد (ص٢٨)، ط١، دار الكتب المصرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

٤ - شروح التلخيص (١٣٠/١، ١٣١) .

المقام [١]، وهذا ما وضحه الإمام عبدالقاهر في شرحه لنظرية النظم في قوله : " وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم، على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق، والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض " [٢]، وهذا ما يجعل السياق أساسًا لتفسير النص والوقوف على معانيه وبلاغته .

فالسياق له أثر كبير في جوانب متعددة في النص، فهو يسهم في تحديد المعنى ودفع اللبس كما في كلمة (السائل) على سبيل المثال، ففي قولك: (الدواء السائل أسلم للأطفال) يكون لفظ (السائل) اسم فاعل من (سال)، وفي قوله تعالى : (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) [٣] يكون (السائل) اسم فاعل من (سأل)، وفي قولك: (سائل العلياء عنا) يكون (سائل) فعل أمر، انظر كيف اختلف المعنى في اللفظة الواحدة، كل ذلك يرجع إلى السياق في ضبط دلالة الكلمة، ودفع ما يتوهم من لبس [٤].

---

١ – ينظر: أثر السياق في اصطفاء الأساليب (ص٢٨).

٢ – دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح/ محمود شاكر(ص ٨٧)، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٣ – سورة المعارج، الآيتان (٢٤،٢٥) .

٤ – ينظر: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية لموسى نهاد (ص٢٨٢)، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، والسياق وأثره في الكشف عن المعنى لزيد عمر عبدالله (ص٨٣٩)، مجلة جامعة الملك سعود (م ١٥)، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، السعودية، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

وعند النظر في كتاب الله ـ تعالى ـ نرى أن السمة التعبيرية في كثير من مفرداته حاضرة مع السياق، فـ " المختار في الصفات الواردة في القرآن أن تكون مناسبة لسياق ما قرنت به " [١]، ومما يؤيد أنه لابد من الربط بين هذه الصفات وما قرن بها أن بعض العرب سمع رجلا يقرأ قوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...) [٢]، فقرأ : (والله غفور رحيم)، فقال: هذا إغراء بالسرقة، وقرأ القارىء: (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [٣]، فقال : هذا كلام الرب، عز وحكم، فإن وصف العزيز الحكيم مناسب لسياق الآية الدالة على عقوبة السرقة[٤]؛ فلهذا تجد القضايا التعبيرية في القرآن الكريم تتعلق بالسياق وهي كثيرة لا يتسع المقام لذكرها .

فـ " السياق يشكل أكبر القرائن لأنه يحكم عملية الفهم الموضوعي أي الفهم الذي يوازي قصد المؤلف، إلى جانب أنه يحكم عملية الفهم الذاتي والتذوق الجمالي للنصوص، فقضية السياق هي القضية الأولى في تفسير النص الأدبي، وإن أي تحليل لمعاني الكلمات خارج سياق النص لا يقدم شيئًا يعتد به في مجال التفسير الأدبي؛ لأن السياق وحده هو الذي يشكل معنى اللفظ تشكيلًا جديدًا وكأنه يولد من جديد في ظل بنيته الجديدة " [٥] .

وخذ مثالًا من موضوع الدراسة يؤكد أثر المقام في اصطفاء الأساليب، ككلمة (قدر) التي توضح أن لكل كلمة مع صاحبتها مقام [٦]، فهي في قوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ

---

١ – فوائد في مشكل القرآن لعز الدين بن عبدالسلام (ت:٦٦٠هـ)، تح/ د. سيد رضوان علي (ص١١٥)، ط١، دار الشروق، السعودية، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

٢ – سورة المائدة، من الآية (٣٨) .

٣ – سورة المائدة، من الآية (٣٨) .

٤ – ينظر: فوائد في مشكل القرآن (ص١١٦) .

٥ – السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية (ص٥).

٦ – ينظر: شروح التلخيص (١٢٩/١) .

مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) [١]، تدل على الضيق والحاجة وعدم القدرة على الكسب، وهي في قوله تعالى : (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) [٢]، تدل على عدم التعظيم المناسب للخالق سبحانه أي : "مَا عَظَّمُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ" [٣]، وفي قولك : (ينزل المطر بمقدار) دلت على الشيء ومبلغه أي: " بقَدَرٍ وقَدْرٍ، وَهُوَ مَبْلَغُ الشَّيْءِ" [٤]، وفي قولك: (طبخت لحمًا في القدر) دلت على الطبخ، فـ " قَدَرَ القِدْرَ يَقْدِرُها ويَقْدُرُها قَدْراً: طَبَخَها " [٥] إلى غير ذلك من معاني، فالمقام كشف عن المعنى الأمثل للكلمة ودلالاتها .

وخذ من ذلك مثالًا آخر من كلامه ـ جل وعز ـ في قوله : (وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ) [٦]، فكلمة (المقتر) دلت على ضيق العيش وقلة الكسب على النفقة فـ " القَتْر: ضِيقُ الْعَيْشِ" [٧] بينما دلت على معنى آخر في قوله تعالى : (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ)[٨]، وهي صفة أهل النار فـ "القَتَرَةُ غَبَرة يَعْلُوهَا سَوَادٌ كَالدُّخَانِ" [٩]، فالكلمة الواحدة تغير معناها مع صاحبتها ومقامها.

١- سورة الطلاق، من الآية (٧) .
٢- سورة الحج، من الآية (٧٤) .
٣- لسان العرب، مادة (ق د ر)، (٧٨/٥، ٧٩) .
٤- ينظر: المرجع السابق، مادة (ق د ر)، (٧٩/٥) .
٥- المرجع السابق، مادة (ق د ر)، (٨٠/٥) .
٦- سورة البقرة، من الآية (٢٣٦) .
٧- لسان العرب، مادة (ق ت ر)، (٧١/٥) .
٨- سورة عبس، الآيتان (٣٩، ٤٠) .
٩- لسان العرب، مادة (ق ت ر)، (٧١/٥) .

المحور الثالث

الفروق الدقيقة بين الفقر والغنى وما في معناهما

بالنظر في القرآن الكريم، نرى أن لفظي (الفقر والغنى) جاء متضادين في المقامات المختلفة، وقد جاءت ألفاظ مرادفة للفقر كـ (العيلة، المسكنة، الإملاق، البأسأ، المحروم...)، وجاءت ألفاظ مرادفة للغنى كـ (البسط، السعة، الفضل، الوجد...)

فالفقر لغة : " ضِدُّ الغِنى، مِثْلُ الضَّعْفِ والضُّعْف ... والفَقْر: الْحَاجَةُ " [١]، وسمي الفقير فقيرًا " لِزَمَانَةٍ تُصِيبُه مَعَ حاجَة شَدِيدَةٍ تَمْنَعُه الزَّمَانَةُ من التَّقَلُّب فِي الكَسْبِ على نَفْسِه " [٢]، فالفقر في اللغة يدور حول الحاجة والعوذ والكسر .

والفقر اصطلاحًا: عبارة عن فقد الإنسان ما يحتاج إليه أو عدم الشيء بعد وجوده فهو أخص من العدم؛ لأن العدم يقال فيه وفيما لم يوجد بعد، أو هو الذي لا يجد ما يقع موقعًا من كفايته لا بمال ولا بكسب [٣] .

فالفقر في اللغة والاصطلاح يدل على الحاجة والمادة، وفي القرآن الكريم نراه قد يزيد على ذلك فقد يدل على معنى (الفقد) وهو ما يحتاج إليه الإنسان سواء ما يتعلق بالمال أو غيره بدليل قوله تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[٤]، فالفقر في هذه الآية هو شدة الحاجة إلى

١- لسان العرب، مادة (ف ق ر)، (٦٠/٥).

٢- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تح/ مجموعة من المحققين (٣٣٥/١٣)، ط، دار الهداية.

٣- ينظر: الفقر وعلاجه في تصور القرآن (دراسة لغوية تفسيرية) لمحمد علي رشد (ص٣)، الجامعة الإسلامية الحكومية، باري سلاويسي الجنوبية، الصفحات (٢٢٨٠ ــ ٢٤٦٠)، موقع (alirusdibedong@gmail.com)، سنة ٢٠١٥م.

٤- سورة البقرة، الآية (٢٦٨) .

لوازم الحياة لقلة أو فقد ما يعاوض به [١]، يعني الشيطان يخوف الرجل أولًا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك لأن البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر، مع أن الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ يعدكم مغفرة منه لذنوبكم على ما تقومون به من الإنفاق في سبيله جل وعز [٢] .

وقد ورد في القرآن الكريم ألفاظ مرادفة للفقر منها : (المسكنة، والإملاق، والبأساء، والمحروم، والعيلة، والقدر، والقتر ...إلخ) وكلها تشير إلى الحاجة وعدم الوفاء بالكسب لمؤنة الرجل وأهل بيته، ونكتفي في هذا المقام بتعريف الألفاظ المرادفة للفقر الواردة في موضع البحث وهي : (العيلة، القدر، القتر) .

فالعيلة في القرآن الكريم بمعنى الحاجة والفقر فـ "عالَ يَعِيلُ عَيْلًا وعَيْلة وعُيولًا وعِيُولًا ومَعِيلًا: افْتَقَرَ" [٣]، وقد وردت في موضعين من القرآن الكريم قال تعالى : (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) [٤]، وقال تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [٥]، وذِكْرُ الغنى في الموضعين بعدها دليل على معنى الفقر والحاجة .

والقدر: بمعنى الضيق والحاجة وعدم القدرة على النفقة، وهذا واضح من خلال قوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) [٦]، وقوله تعالى : (وَأَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) [٧]، فالمعنى: " وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَي

---

١ – ينظر: لسان العربن مادة (ف ق ر)، (٦٤/٥) .

٢– ينظر: الفقر وعلاجه في تصور القرآن (دراسة لغوية تفسيرية) (ص٤) .

٣– لسان العرب، مادة (ع ي ل)، (٤٨٨/١١) .

٤– سورة الضحى، الآية (٨) .

٥– سورة التوبة، من الآية (٢٨) .

٦– سورة الطلاق، من الآية (٧) .

٧– سورة الفجر، من الآية (١٦) .

ضُيِّقَ عَلَيْهِ...، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَأَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ؛ مَعْنَى فَقَدَر عَلَيْهِ، فَضَيَّقَ عَلَيْهِ " [١]، فالقدر في الآيتين دلت على الضيق الذي يشمل الفقر والحاجة .

القتر: هو "التَّضْيِيقُ عَلَى الإنسان فِي الرِّزْقِ، وَيُقَالُ: أَقْتَر اللَّهُ رِزْقَهُ أَي ضَيَّقه وَقَلَّلَهُ"[٢]، فالإقتار بمعنى الفقر والحاجة، قال تعالى: (وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ)[٣] أي: " أعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على أقداركم ومنازلكم من الغنى، والإقتار"[٤]، وهذا دليل على أن كلمة (القتر) دالة على النقص من القدر الكافي في المؤنة والحاجة [٥] .

والغنى لغة : يدل على الكفاية في المؤنة وعدم الحاجة فـ " غَنِيَ يَغْنَى غِنًى، وَالْغَنَاءُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ مَعَ الْمَدِّ: الْكِفَايَةُ، يُقَالُ: لَا يُغْنِي فُلَانٌ غَنَاءَ فُلَانٍ، أَيْ لَا يَكْفِي كِفَايَتَهُ، وَغَنِيَ عَنْ كَذَا فَهُوَ غَانٍ، وَغَنِيَ الْقَوْمُ فِي دَارِهِمْ: أَقَامُوا، كَأَنَّهُمُ اسْتَغْنُوا بِهَا" [٦] .

واصطلاحًا: هو الذي يجد ما يقع موقعًا من كفايته يكفيه ويسد به حاجته من كسب أو مال[٧]، فالمعنى الاصطلاحي يترابط مع المعنى اللغوي في الدلالة على الكافية في المؤنة وعدم الحاجة .

١- لسان العرب، مادة (ق د ر)، (٧٧/٥) .

٢- المرجع السابق، مادة (ق ت ر)، (٧١/٥) .

٣- سورة البقرة، من الآية (٢٣٦) .

٤- تفسير الطبري (٢٨٩/٤) .

٥- ينظر: الكليات (ص١٦٠) .

٦- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تح/عبد السلام هارون (٣٩٧/٤)، ط، دار الفكر، ١٩٧٩م .

٧- ينظر: المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي لأبي زكريا محيي الدين النووي (ت: ٦٧٦هـ)، (١٩٥/٦)، ط، دار الفكر، والغنى والفقر في القرآن الكريم وأثره على الفرد، دراسة موضوعية لمحمد وحيد معيوف عبد، والنعمان محمد الصالح (ص٥)، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، كلية الآداب، جامعة السودان رقم (٨٣٢٧٠٧)، سنة ٢٠١٧م.

وقد جاء لفظ (الغنى) في موضوع الدراسة بأسماء وصفات مختلفة كـ (السعة، البسط، الفضل، الوَجْدُ...)، فالسعة ترادف الغنى، وهي تدل على الغنى والرفاهية، وهي خلاف الضيق[١]، قال تعالى : (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) [٢]، أي: على قدر سعته وطاقته .

والبسط: يدل على الكثرة والسعة في الرزق وغيره يقال : " بسط الرجل الثوب بسطا وبسط يده مدها منشورة وبسطها في الإنفاق جاوز القصد، وبسط الله الرزق كثره ووسعه" [٣]، قال تعالى : (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) [٤] .

الفضل: من مرادفات الغنى وهو يدل على الزيادة والسعة فـ " الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء من ذلك الفضل: الزيادة والخير" [٥]، قال تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[٦].

الوَجْدُ: يدل على الغنى، فـ " الواجِدُ: الغَنِيّ ...، الحمدُ للَّهِ الغَنيّ الواجِدِ" [٧]، قال تعالى: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) [٨]، " والوُجْدُ والوَجْدُ والوِجْدُ: الْيَسَارُ والسَّعةُ " [٩] .

---

١ – لسان العرب، مادة (و س ع)، (٣٩٢/٨) .

٢ – سورة الطلاق، من الآية (٧).

٣ – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد الفيومي الحموي(ت:٧٧٠هـ)،(٤١/١)، ط، المكتبة العلمية، بيروت .

٤ – سورة الرعد، من الآية (٢٦).

٥ – معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٠٨/٤) .

٦ – سورة البقرة، الآية (٢٨٦) .

٧ – تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تح/محمد عوض مرعب، مادة (و ج د)، (١١٠/١١) ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م .

٨ – سورة الطلاق، من الآية (٧) .

٩ – لسان العرب، مادة (و ج د)، (٤٤٥/٣) .

وبعد هذه التعريفات للفظي الفقر والغنى وما في معناهما، نستنتج أن الفقر وما في معناه دل على الفقد والحاجة، أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرًا، وإن كان المحتاج إليه موجودًا مقدورًا عليه لم يكن المحتاج فقيرًا، وإذ قد فهمت هذا فاعلم أن كل موجود سوى الله ـ تعالى ـ فهو فقير لأنه بحاجة إلى دوام الوجود في ثاني الحال، ودوام وجوده مستفاد من فضل الله ـ تعالى ـ وجوده؛ فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاد له من غيره فهو الغني المطلق، ولا يتصور أن يكون مثل الموجود إلا واحدًا، فليس في الوجود إلا غني واحد، وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمدوا وجودهم بالدوام [١].

كما أن المفهوم القرآني للفقر والغنى ليس ماديًا فقط، فليس للغنى حدًا يقف عنده سوى القناعة والعفاف والزهد وبهذا المعنى الإسلامي يكون الفقير غنيًا بصبره وثقته المطلقة بالخالق ـ سبحانه وتعالى ـ كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ " لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ" [٢].

والفقر ليس هو الحد الأدنى من العيشة والقسمة في الدنيا، والغنى ليس هو الحد الأعلى من النعمة؛ ولهذا ينظر الفقير إلى المسكين، والمسكين إلى من هو أدنى منه حسب الظاهر الذي يزينه الشيطان للإنسان حتى يجرده من كل نعمة أنعمها الله عليه، ولكن يبقى المؤمن راضيًا بما قسمه الله له شاكرًا هذه النعم لأنه ينظر إلى من هو دونه.

---

١ – ينظر: معجم ألفاظ الصوفية لحسن الشرقاوي، مادة (ف ق ر)، (ص٢٢٦)، ط، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢ – صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس (٨/٩٥)، رقم (٦٤٤٦) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

المبحث الأول

الفقر والغنى في سياق الوعظ والإرشاد

جاء التعبير بلفظي الغنى والفقر وما في معناهما في سياق الوعظ والإرشاد تنبيهًا وإشارة إلى المطلوب ترغيبًا أو ترهيبًا لبث اليقظة والإفهام في آذان المخاطبين وعقولهم، وجاء ذلك في تسعة مواضع:

الموضع الأول: قال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [١]، جاء الحديث عن الفقر والغنى في هذه الآية في سياق الترغيب في النفقة وفضلها، والترهيب لمن منعها، فالآيات التي سبقتها دلت على الترغيب في الصدقة وجزاء المنفقين أموالهم في سبيل الله، وذلك في قوله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...)[٢]، وقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [٣] إلى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [٤]، وأتبعت آية الشاهد بالحديث عن الحكمة وفضل الصدقة في قوله: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ .... الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

١ – سورة البقرة، الآية (٢٦٨) .
٢ – سورة البقرة، من الآية (١٩٥) .
٣ – سورة البقرة، الآية (٢٦١).
٤ – سورة البقرة، الآية (٢٦٧).

يَحْزَنُونَ) [١]، فالآيات من أولها إلى آخرها تدل على الترغيب في النفقة وعدم البخل "ولما كانت النفقة من أعظم دعائم الجهاد وكان العيش في أول الإسلام ضيقًا والمال قليلًا فكان ذلك موجبًا لكل أحد أن يتمسك بما في يده ظنًا أن في التمسك به النجاة وفي إنفاقه الهلاك، أخبرهم أن الأمر على غير ما يسول به الشيطان " [٢].

وعند التأمل في سياق الآية موضع الشاهد، نلحظ أن الخالق ـ جل وعز ـ رغب في النفقة حتى مع تأسيس حكم الجهاد؛ لأنه يحتاج إلى زاد ومؤنة فهو لايتم إلا بالشجاعة والجود كما قال ـ تعالى ـ في آية أخرى:(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...) [٣]، فالله ـ تعالى ـ حين رغب في النفقة ووعد المتصدقين بالزيادة في الدنيا والآخرة، كما في آيات الأمثال في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ...)، وقوله: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ...)، " أتبعه بما للعدو الكاذب من ضد ذلك فقال محذرًا من البخل ـ في جواب من كأنه قال: هذا ما لا يشك فيه فما للنفوس لا توجد غالبًا إلا شحيحة بالإنفاق ـ: (الشيطان) أي: الذي اسمه أسوأ الأسماء، فإنه يقتضي الهلاك والبعد، وأحد الوصفين كاف في مجانبته فكيف إذا اجتمعا! " [٤] .

---

١ – سورة البقرة، الآيات (٢٦٩ـ ٢٧٤).

٢ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، (١١٩/٣)، ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣ – سورة الانفال، من الآية (٦٠) .

٤ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩١/٤).

فالآية الكريمة محل الشاهد جاءت تحقيرًا للشيطان، وقد اتخذت من التعبير بلفظ (الفقر) الذي يدل على الحاجة والضيق وسيلة لذلك، وأريد للمسلمين أن يعتبروا من ذلك .

وقد اتخذت من لفظ الغنى وما في معناه دليلًا على غنى الله وعطائه الكثير لمن أنفق وتصدق في سبيله، وقد تشم من رائحة التعبير بلفظي الغنى والفقر ـ في هذا المقام ـ تحقيرًا لمانعي الزكاة والبخلاء، فالآية محل الشاهد استئناف بياني لما قبلها؛ " لبيان سبب تيمم الخبيث في الإنفاق وتوهين شأنه " [١].

فالشيطان يخوف أتباعه من الفقر فلا يتصدقون ظنًا أن الصدقة تقلل المال [٢]، والسياق يدل على تحقير هؤلاء، وقد أيد السياق ذكر لفظ الفقر في جانب الشيطان، وما في معنى الغنى في جانب الخالق سبحانه، وقد ذكر البقاعي كلامًا جيدًا تسطيب له النفوس في قوله: " لما ذكر ما للعدو من الشر أتبعه ـ سبحانه وتعالى ـ بما له من الخير فقال مصرحًا بما تقدم التلويح به: (والله) أي: الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى الرحيم الودود (يعدكم مغفرة منه) لما وقع منكم من تقصير، وفيه إشعار بأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره لما له من الإحاطة بصفات الكمال ولما جبل عليه الإنسان من النقص (وفضلاً) بالزيادة في الدارين، وكل نعمة من

---

١ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح/علي عبد الباري عطية (٣٩/٢)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ.

٢ – ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح/ محمد علي النجار(٢٣٨/٥)، ط، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

فضل؛ ثم أكد ذلك بقوله: (والله) أي: المحيط بكل كمال (واسع) لتضمنه معنى حليم غني، وأتبعه بقوله: (عليم) إشارة إلى أنه لا يضيع شيئًا وإن دق " [١] .

والخلاصة أن السياق هنا جاء ترغيبًا في الصدقة وترهيبًا للمانعين لها، كما أن السياق فيه إشعار لتوهين كيد الشيطان ووعد كريم للمفتون بخوف الفقر وعمل الفحشاء لما علمه من ضعف الأنفس وسرعة قبولها من الوسواس [٢]، فسيق التعبير بلفظ الفقر وما في معنى الغنى تأكيدًا على كمال القدرة الإلهية في العطاء والسعة والتوفيق لمساعي الخير .

الموضع الثاني: قال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [٣] .

جاءت الآية الكريمة في سياق الترغيب والحث على النفقة، فلما بين الله ـ تعالى ـ في الآيات السابقة فضل النفقة عامة على المسلمين وغيرهم تخلصًا من إمساك المال بأداء الأمانة فيه إلى عباده في قوله تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ... وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) [٤]، بين ـ سبحانه ـ في هذه الآية محل الشاهد أن أحق الناس بالصدقة وهم الفقراء الذين ذكرت صفاتهم في هذه الآية، وهي خمس صفات من أفضل الصفات وأعلاها، وقد ورد أنها نزلت في

١ – نظم الدرر (٩٢/٤) .

٢ – ينظر: نظم الدرر (٩٣/٤).

٣ – سورة البقرة، الآية (٢٧٣).

٤ – سورة البقرة، من الآية (٢٧١، ٢٧٢).

أهل الصفة [١]، أرصدوا أنفسهم لحفظ القرآن الكريم والخروج مع السرايا، والمشهور أن متوسط عددهم كان ثلاثمائة والذين عرفت أسماؤهم منهم لا يبلغون مائة وهم من فقراء المهاجرين، لم يكن لأكثرهم مأوى؛ لذلك كانوا يقيمون في صفة المسجد وهي موضع مظلل منه، فالصفة ـ بالضم ـ كالظلة وهي موضع مظلل من المسجد كان يأوي إليه المساكين[٢]، فأولئك الذين نزلت فيهم الآية محل الشاهد كانوا من المهاجرين بدينهم وتركوا أموالهم فحيل بينهم وبينها، فهم محصورون في سبيل الله بهذه الهجرة، ومحصرون بحبس أنفسهم على حفظ القرآن، وقد كان حفظه أفضل العبادات؛ لأنه حفظ للدين كله، فهم لا يحفظونه لأجل تلاوته من أجل الجنائز، ولا في الأعراس والمآتم، ولا لاستجداء الناس به، ولا لمجرد التعبد بتلاوة ألفاظه، وإنما كانوا يحفظونه لأجل الفهم والاهتداء والعمل به، ولحفظ أصل الدين بحفظه، وكانوا أيضًا يحفظون ما يبينه النبي ـ ﷺ ـ من سنته[٣].

هذا، وقد جاءت الآية محل الشاهد تأكيدًا للحث على النفقة لهذه الطائفة ، فـ " لما كان غالب هذه الأحكام التي ذكرت في الإنفاق من أجل المحاويج وكان ما مضى شاملاً للمؤمن وغيره بيّن أن محط القصد في الحثّ عليها المؤمن، قال ـ سبحانه وتعالى ـ (للفقراء) أي: هذه الأحكام لهم " [٤].

١- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تح/ عبد الرزاق المهدي (٣٧٧/١)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ .

٢- ينظر: لسان العرب، مادة (ص ف ف)، (١٩٥/٩).

٣- ينظر: ظلال القرآن لسيد قطب إبراهيم حسين (٧٣/٣، ٧٤)، ط٧، دار الشروق القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

٤- نظم الدرر (١٠٤/٤).

وقد كان لأسلوب التقابل بين لفظي الفقر والغنى نصيبه الأوفر في تمييز هذه الطائفة فـ " الفقراءُ الموصوفون...، يقابلهم أَصحاب الجِدَة، ومن ليس محصرًا فى سبيل الله، ومن لم يكتم فقرًا وضعفًا " [١]، كما أن التعبير بلفظ (الفقر) في قوله تعالى: (للفقراء...) يحرك الذهن ويستلهم النفوس نحو السرعة في استخراج الصدقة لهذه الطائفة من المهاجرين الفقراء، وهي جواب لسؤال سائل نشأ مما سبق كأنه قيل لمن الصدقات؟ قيل : لهؤلاء الفقراء الذين أوصافهم كذا وكذا .

والتعبير بلفظ الفقر في هذا المقام ساعد على تحديد هذه الطائفة، فالله ـ تعالى ـ لما ذكر خفاءها عن الغبي في قوله: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) ذكر جلاءها عند المتوسم فقال: (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ)، أي: تعرفهم بسيما الفقر وجهد الحاجة في وجوههم كالسكينة والوقار وضعف الصوت ورثاثة الحال...إلخ [٢]، كل ذلك يؤكد على الحث في النفقة على هذه الطائفة .

والسياق كله يكشف عن فضل النفقة في جميع أحوالها، فالله تعالى : " لما حض على النفقة فأكثر وضرب فيها الأمثال وأطنب في المقال ولم يعين لها وقتًا كان كأن سائلًا قال: في أي وقت تفعل؟ فبين في آية جامعة لأصناف الأموال والأزمان والأحوال أنها حسنة في كل وقت وعلى كل حال " [٣]، فقال ـ تعالى ـ بعد آية الشاهد: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [٤]، فالسياق كله كشف عن قيمة النفقة وجزاء الله للمنفقين .

١- بصائر ذوي التمييز (٢٠٥/٤) .

٢ - ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تح/الدكتور عبد الله التركي (٢٧/٥)، ط١، دار هجر للطباعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٣ - نظم الدرر (١٠٦/٤) .

٤ - سورة البقرة، الآية (٢٧٤) .

الموضع الثالث: قال تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[1]، جاءت الآية الكريمة إرشادًا للمؤمنين في إنظار المعسر في دين الربا، والناظر في سياق الآية يرى أنها سبقت بما يدل على تحريم التعامل بالربا الذي كان منتشرًا في الجاهلية في قوله تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) [2]، ولما جاء التشريع ببطلان التعامل بالربا، وأن من أربى قبل إسلامه, وقبض بعضه في كفره وأسلم وقد بقي بعضه, فما قبضه قبل إسلامه معفو عنه لا يجب عليه رد, وما بقي منه بعد إسلامه, حرام عليه لا يجوز له أخذه, فأما المراباة بعد الإسلام فيجب رده فيما قبض وبقي, فيرد ما قبض ويسقط ما بقي, بخلاف المقبوض في الكفر, لأن الإسلام يجب ما قبله [3]، وأن من صفات التائب المؤمن أن يأخذ رأس المال بدون زيادة من المدين الموسر، فإن كان المدين فقيرًا فعليه أن ينظره إلى أن يتعافي ويسد دينه، ومن فعل غير ذلك فكأنه حارب الله ورسوله.

وقد أسهم في إيضاح هذا المعنى وتقريره للسامع، التعبير بما دل على الفقر والغنى في قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ)، فالعسرة " ضِدُّ اليُسْر، وَهُوَ الضَّيِّقُ والشدَّة وَالصُّعُوبَةُ " [4]، والميسرة من اليسر ضِدُّ الْعُسْرِ[1]، وهذا التعبير

---

١ – سورة البقرة، الآية (٢٨٠) .

٢ – سورة البقرة، الآيات (٢٧٥ـ٢٧٩) .

٣ – ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تح/السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم (٣٥٢/١)، ط، دار الكتب العلمية، بيروت .

٤ – لسان العرب، مادة (ع س ر)، (٥٦٣/٤) .

كشف عن حالة المدين الفقير الذي لا يمكلك أن يسد دينه، فـ " لما كان الناس منقسمين إلى موسر ومعسر أي: غني وفقير كان كأنه قيل: هذا حكم الموسر (وإن كان) أي: وجد من المدينين (ذو عسرة) لا يقدر على الأداء في هذا الوقت (فنظرة) أي: فعليكم نظرة له، ...، وهو التأخير المرتقب نجازه (إلى ميسرة) إن لم ترضوا إلا بأخذ أموالكم" [٢].

وتظهر بلاغة التعبير بلفظي العسرة والميسرة في حدوث التجاوب والتفاعل من السامع، فكل سامع مؤمن أراد ابتغاء وجه الله ـ تعالى ـ له أن ينظر المدين سواء في دين الربا أم في أي دين آخر، كما أن صورة التقابل بين الضدين (العسر، واليسر) رسمت طوائف وأحوال الناس من الاكتفاء المالي وعدمه، فهذا يستطع قضاء دينه لغناه، والآخر لا يستطيع أداء دينه لفقره، فأوجب الله ـ تعالى ـ للفقير أن ينظر حتى يستطيع قضاء دينه دون زيادة، بل وأباح الله ـ تعالى ـ الصدقة على المعسر وأن ذلك من الخير في الدنيا والآخرة .

والسياق كله من أوله إلى آخره يدعو إلى ترك الربا والتعامل به حتى مع الفقير الذي لا يملك أن يسده ما عليه من الدين، أمر الله ـ تعالى ـ صاحب المال أن ينظره إلى أن يتيسر له قضاء هذا الدين تارة، وأمر بالصدقة عليه تارة أخرى، وجعل ذلك من الفضل والخير.

وعند التأمل في السياق البعدي للآية محل الشاهد نرى أن الله ـ تعالى ـ " لما أنهي الخطاب بأمر الدين وعلنه، وأمر الآخرة على وجوهها وإظهار حكمتها المرتبطة بأمر الدنيا، وبين أمر الإنفاق والربا الذي هو غاية أمر الدين والدنيا في صلاحهما، وأنهى

---

١ – **ينظر: لسان العرب، مادة (ي س ر)، (٢٩٥/٥) .**

٢ – **نظم الدرر (١٤٠/٤).**

ذلك إلى الموعظة بموعود جزائه في الدنيا والآخرة، أجمل الموعظة بتقوى يوم الرجعة إلى إحاطة أمره، ليقع الختم بأجمل موعظة وأشملها، ليكون انتهاء الخطاب على ترهيب الأنفس، لتجتمع عزائمها على ما هو ملاك أمرها من قبول صلاح دينها ودنياها ومعادها "[١]، فقال تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [٢]، توجيهًا وترهيبًا لصلاح العباد في الدنيا والآخرة .

الموضع الرابع: قال تعالى: (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) [٣]، فالآية الكريمة جاءت في سياق المحافظة على الحقوق، توجيهًا للمسلمين في المحافظة على مال اليتيم وعدم العبث به، وعند التأمل في سياق الآية الكريمة، نلحظ أنها سبقت بما يدل على التواصل والائتلاف، وبناء السورة يدل على التواصل والاتقاء، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) [٤]، وقوله تعالى : (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ) [٥]، ولما كان بناء السورة داعيًا إلى التواصل والألفة، جاءت آية الشاهد دالة على المحافظة على مال اليتيم، فالله ـ تعالى ـ حين نهى عن دفع المال إلى السفهاء لما في ذلك من تضييعه لعجز هؤلاء عن القيام بحفظه وتثميره في قوله: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا

---

١ – نظم الدرر (١٤٣/٤) .

٢ – سورة البقرة، الآية (٢٨١) .

٣– سورة النساء، من الآية (٦).

٤ – سورة النساء، من الآية (١) .

٥ – سورة النساء، من الآية (١٣١) .

وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) [١]، وفي ذلك ترغيب من الله ـ تعالى ـ لعباده في إصلاح المعاش وحسن التدبير[٢]، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ ذلك في مواضع من كتابه العزيز منه قوله تعالى: (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) [٣]، وقد نبه البقاعي إلى مناسبة آية الشاهد بما قبلها في قوله: " ولما نهى الله ـ تعالى ـ عن ذلك البذل للسفهاء أيتاما كانا أو غيرهم، بين أنه ليس دائما بل ما دام السفه قائما، فمست الحاجة إلى التعريف بمن يعطي ومن يمنع وكيف عند الدفع، ولما كان السفه أمرا باطنا لا يعرف إلا بالتصرف ولا سيما في المال؛ بدأ سبحانه بتعليم ما يتوصلون به إلى معرفته فقال مصرحا بالأيتام اهتماما بأمرهم: (وابتلوا اليتامى) أي: اختبروهم في أمر الرشد في الدين والمال في مدة مراهقتهم" [٤]، فدلت الآية على سياق المحافظة على مال اليتيم حتى البلوغ، فإذا تيقن الولي من صلاح حال اليتيم بصورة متيقنة زال الحجر بخوف التبذير، وذلك واضح من قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُم)، ودفع المال لليتيم يكون بإيناس الرشد، وبلوغ الحلم، فإن وجد أحدهما دون الآخر لم يجز تسليم المال إليه [٥]، ولما كان الإنسان مجبولا على نقائص منها الطمع وعدم الشبع لا سيما إذا خالط، لا سيما إن حصل له إذن ما؛ أدبه سبحانه بقوله: (وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا)، فالسياق دل على عدم الخروج عن القصد في التصرف في المال بطريقة تبعد عن إغفال العدل.

---

١ – سورة النساء، الآية (٥) .

٢ – ينظر: أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)، تح/محمد صادق القمحاوي (٣٥٥/٢)، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ .

٣ – سورةالإسراء، من الآية (٢٦، ٢٧) .

٤ – نظم الدرر (١٩٦/٥، ١٩٧) .

٥ – ينظر: أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله بن العربي (ت: ٥٤٣هـ)، تح/محمد عبد القادر عطا (٤١٩/١)، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

وانظر إلى السياق وأهميته في اصطفاء الأساليب في التعبير بالتقابل الضدي بين الغنى والفقر في قوله تعالى: (وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) حتى تتضح الصورة أمام السامع فلا يستطيع بعدها أن يطغى على مال اليتيم .

فالقرآن الكريم ـ من خلال الجمع بين الضدين (الغنى والفقر) في هذا المقام ـ قد استخدم أسلوب العرض بطريقة بديعة، فالأسلوب القرآني قد خاطب العقل والعاطفة معًا، فالعقل يستوجب أن الوصي الغني لا يحتاج إلى مال محجوره، وأن الوصي الفقير كذلك يجب عليه المحافظة على مال محجوره بالإنفاق منه دون إسراف، وكذلك العاطفة تراها تحافظ على حالة المحجور الاقتصادية سواء مع الغني أو الفقير، فالقرآن الكريم في أسلوبه لم يفصل بين العقل والعاطفة بل خاطبهما وأقنعهما معًا، يقول الشيخ محمد عبدالله دراز : " أما ما يبدوا فوق طاقة البشر حقًا في الأسلوب القرآني، فهو أنه لا يخضع للقوانين النفسية التي بمقتضاها ترى العقل والعاطفة لا يعملان إلا بالتبادل، وبنسب عكسية بحيث يؤدي ظهور إحدى القوتين إلى اختفاء الأخرى، ففي القرآن لا ترى إلا تعاونًا دائمًا في جميع الموضوعات التي يتناولها بين هاتين المتنافرتين " [1]، فالطريق التي استخدمها القرآن الكريم في العرض والقصد هي التي كان لها السبق في الوصول إلى غايته في التأكيد والإقناع .

هذا، وقد كشف السياق أن الولي الغني يطلب العفة ويظهرها، وأن الولي الفقير يأخذ من المال بقدر سعيه وجهده، كما كشف السياق عن الحزم تجاه من يخرج عن أمر الله ـ تعالى ـ في قوله : (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ)، فالله ـ تعالى ـ حين

١- مدخل إلى القرآن الكريم للشيخ محمد عبدالله دراز (ص١١٧)، ط٣، دار القلم، الكويت، ١٩٨١م .

أمر الولي الغني بالعفة والفقير بقدر حاجته وجهده ربما شعرا بالأمان في التصرف في هذا المال، فجاء الحزم بالإشهاد حال دفع المال إلى اليتيم حين بلوغه؛ " احتياطا لأن الأحوال تتبدل، والرشد يتفاوت، فالإشهاد أقطع للشر، وأنفع في كل أمر، والأمر بالإشهاد أزجر للولي عن الخيانة، لأن من عرف أنه لا يقبل عند الخصام إلا ببينة عف غاية العفة، واحترز غاية الاحتراز" [١].

كما ظهر دور السياق في الكشف عن القدرة الإلهية في قوله : (وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)، فـ " لما كانت الأموال مظنة لميل النفوس، وكان الحب للشيء يعمي ويصم؛ ختم الآية بقوله: (وكفى بالله) أي: الذي له الحكمة البالغة والقدرة الباهرة والعظمة التي لا مثل لها، والباء في مثل هذا تأكيد لأن ما قرنت به هو الفاعل حقيقة لا مجازًا، كما إذا أمرنا بالفعل مثلاً (حسيبا) أي محاسبا بليغًا في الحساب، فهو أبلغ تحذيرا لهم وللأيتام من الخيانة والتعدي ومدّ العين إلى حق الغير" [٢]، فالله ـ تعالى ـ مطلع على الولي واليتيم محاسبًا لهما على ما قدما إن خير فخير وإن شرًا فشر .

<u>الموضع الخامس</u>: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا) [٣] .

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق وعظ المؤمنين وإرشادهم إلى القسط والعدل، ولما كان بناء السورة يدعو إلى الاتقاء والترابط وأحكام عامة تتعلق بالإيمان والعمل وأحوال المنافقين وأهل الكتاب، جاءت هذه الآية متصلة بما قبلها من الآيات القريبة خاصة بما فيه من الأمر العام بالقسط بعد الأمر بالقسط في اليتامى والنساء، فهنالك خص اليتامى والنساء في سياق الاستفتاء فيهن، ولأن حقهن آكد وظلمهن معهود، قال تعالى:

١- نظم الدرر (١٩٩/٥) .

٢- نظم الدرر (١٩٩/٥) .

٣- سورة النساء، الآية (١٣٥).

(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ... وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) [١]، وها هنا في آية الشاهد عمم الأمر بالقسط لأن العدل حفاظ النظام وقوام أمر الاجتماع، وبما فيه من الشهادة لله بالحق، ولو على النفس أو الوالدين والأقربين، وعدم محاباة أحد في ذلك لغناه، أو مراعاته لفقره؛ لأن العدل والحق مقدمان على الحقوق الشخصية وحقوق القرابة وغيرها، وكانت محاباة الأقربين معهودة في الجاهلية؛ لأن أمرهم قائم بالعصبية، فالواحد منهم كان ينصر قومه وأهل عصبيته؛ لأنه يعتز بهم، كما يظلم النساء واليتامى لضعفهن، وعدم الاعتزاز بهن، فحظر الله محاباة المرء نفسه أو أهله وإعطاءهم ما ليس لهم من الحق، يقابل حظر ظلم النساء واليتامى هناك وهضم ما لهن من الحق [٢]، فالله ـ تعالى ـ في هذا المقام عبر بأحسن المواعظ حين استعطف قلوب المؤمنين وناداهم بالإيمان ثم أمرهم بصيغة المبالغة (قوامين) تأكيدًا على إقامة العدل والتكثير منه وعدم الإخلال به في حال من الأحوال.

وقد عدل الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ عن لفظ (العدل) وعبر بـ (القسط)؛ " لأن القسط كلمة معربة أدخلت في كلام العرب لدلالتها في اللغة المنقولة منها على العدل في الحكم، وأما لفظ العدل فأعم من ذلك، ويدل على ذلك تعقيبه بقوله: (شهداء لله) فإن الشهادة من علائق القضاء والحكم " [٣].

والتعبير بـ (القسط) له دلالات عجيبة آثارت ذهن المتلقي، فـ " القسط والإقساطُ العدل، يقال: أقسط الرجل يُقسِط إقساطًا إذا عدل وأتى بالقسطِ، ويقال قسط الرجل قُسُوطاً إذا

١- سورة النساء، من الآية (١٢٧).

٢ - ينظر: ظلال القرآن (٥/٣٧١، ٣٧٢) .

٣- التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (٥/٢٢٥)، ط، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة، ١٩٨٤هـ .

جَارَ، قال الله جلَّ وعزَّ: (وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [١]، أي: اعدلوا إن الله يُحب العَادِلِينَ، وقال جلَّ وعزَّ: (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)[٢]، أي: الجائرون، يقال قسط البعيرُ قسْطاً إِذَا يَبِسَتْ يدُه، ويدٌ قَسْطاءُ أي يابسة، فكأن أقسط أقام الشيءَ على حقيقةِ التعديل، وكأنَّ قَسَطَ بمعنى جارَ معناه يَبَّسَ الشيءَ، وأفْسَدَ جِهتَهُ المستقيمةَ "[٣].

وقد تآزر مع السياق ذكر الغنى والفقر في قوله: (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) بصورة المقابلة الضدية التي تحمل بين طياتها حماية المجتمع من التأثر بالمظاهر الخداعة التي تستجلب النفس فتكون سببًا لإضاعة الحقوق، فقد يتوهم بعض الناس أن الرجل الغني لا يمكن له أن يظلم أحدًا لأنه قد أنعم الله عليه بعدم الحاجة، ومن الناس من يتوهم أن الفقير مظلوم دائمًا لضعفه وحاجته، أو قد يميل بعض الناس إلى نصرته رأفة ورقة له، والتوهم عند النوعين باطلٌ وفاسد، يفسد المجتمع لأن الذي يميل إلى الغني يهضم حق الفقير، والذي يرق للفقير يتجاهل حق الغني، وكل ذلك يدعو إلى تفكك المجتمع، فالله وحده هو الذي يراعي أحوال النفس ويعلم المفسد من المصلح، فكان التعبير بلفظي (الغنى، الفقر) أداة ناهية لجميع هذه التأثرات الاجتماعية بأسلوب بديع لا يقدر عليه مثله سبحانه .

والسياق له أثر كبير في اختيار لفظي الغنى والفقر في الدلالة على المضمون، فالتعبير القرآني من خلال الجمع بين الضدين (الغنى، الفقر) حمل معنى التصوير، فصورة الرجل العادل في الشهادة الذي يقيم العدل على نفسه ووالديه وأقاربه، ولا يميز بين غني وفقير، كان لها عظيم الأثر في الإقناع والتأثير، فالسامع حين يسمع الصورة

١- سورة الحجرات، من الآية (٩) .

٢- سورة الجن ، الآية (١٥) .

٣- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تح/عبد الجليل عبده شلبي (١١٨/٢)، ط١، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

وضدها يقارن ويميز بين الصورتين، فالصورة الأولى تكون للرجل العادل القوي الذي لا يخشى في الله لومة لائم، والصورة الثانية تكون للرجل الضعيف الذي يرق القلب له، فاجتماع الصورتين أمام السامع في مقام واحد أعطى للتعبير جمالًا، وأعطى المتلقي معرفة بحقائق الأمور ومعانيها، مما ساهم في تحقيق مراد الله ـ تعالى ـ بأن يكون المؤمنون عادلين ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين... .

والتقابل بين (الغني، الفقير) يعكس معنى جليلًا ليس مجرد صنعة بديعية تضفي على الكلام جمالًا تجعله عذبًا مقبولًا، وإنما المعنى أرفع وأنفع من ذلك؛ حيث إن تآلف المتضادين (الغنى، والفقر) يثير انتباه المتلقي ودعوته إلى طرح المعطيات الخلقية والنفسية بين ظروف الناس الاقتصادية والاجتماعية .

فالقرآن الكريم كشف عن الجمال الفني في التأثير الوجداني داخل الشعور الإنساني؛ وذلك من خلال الضدية الظاهرة بين طرفي التقابل، وهذا يعد مظهرًا جماليًا له بلاغته وتأثيره أمام القارىء، فالمعنى البلاغي يكمن في استخراج المعنى الحقيقي المتخفي وراء الضدين.

<u>الموضع السادس</u>: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [1].

دلت الآية الكريمة على إرشاد المؤمنين وتوجيههم على عدم دخول المشركين المسجد الحرام، وعند النظر في السياق نرى أن سورة التوبة بدأها الله ـ تعالى ـ بالبراءة من المشركين وأنهم لا عهد لهم ... إلخ، ثم جاء الأمر بإقصاء المشركين عن المسجد

---

١ – سورة التوبة، الآية (٢٨).

الحرام في قوله تعالى: (مَا كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ) [١]؛ لأنهم شاهدين على أنفسهم بالكفر، وليسوا أهلا لعمارة المسجد الحرام، ثم جاءت هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ)؛ لتأكيد الأمر بإبعادهم عن المسجد الحرام، ولما كانوا متصفين به، وكانوا لا يغتسلون ولا يغسلون ثيابهم من النجاسة، بولغ في وصفهم بها بأن جعلوا عينها فقال: (نجس)، وقرأ ابن السميقع: (إنما المشركون أنجاس)، كقولك: (أخباث على الجمع) أي: وأنتم تدعون أنكم أبعد الناس عن النجس حسًا ومعنى، فيجب أن يقذروا وأن يبعدوا ويحذروا كما يفعل بالشيء النجس لما اشتملوا عليه من خلال الشر واتصفوا به من خصال السوء[٢]، و" النَّجْسُ والنِّجْسُ والنَّجَسُ: القَذِرُ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَذِرْتَه" [٣]، ولفظ (نجس) صفة مشبهة ملازمة لهذه الطائفة، وقد امتزجت هذه الصفة بصفة الإشراك فدل ذلك على أن نجاستهم معنوية، وليست ذاتية، كما أن الحصر بـ (إنما) أكد أن صفة النجاسة ملازمة لهم، فالمقصود من هذه الصفة تحقيرهم وإبعادهم عن الخير الذي يشهده المؤمنون .

والسياق من أوله إلى آخره كشف عن منع المشركين دخول المسجد الحرام، وقد أكدت السنة النبوية هذا الغرض في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " أَلا لا يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ

١- سورة التوبة، من الآية (١٧) .

٢ - ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تح/الإمام محمد بن عاشور(٢٧/٥)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م، ونظم الدرر(٤٣٠/٨).

٣- لسان العرب، مادة (ن ج س)، (٢٢٦/٦) .

مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ " [١]، وكان هذا آخر سنة تسع سنة الوفود مرجعه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من غزوة تبوك [٢] .

هذا، وقد تآزر التعبير بلفظي العيلة والغنى في الكشف عن هذا المعنى في قوله: (وإن خفتم عيلة [٣] فسوف يغنيكم الله من فضله) عطفًا على النهي في قوله: (فلا يقربوا المسجد الحرام)، فالتعبير بالعيلة والغنى يحمل وعدًا لأهل مكة بالرزق الكثير عوضًا عن المنافع التي تأتيهم من المشركين حين كانوا يأتون في موسم الحج فينفقون ويهدون الهدايا فتعود منهم منافع على أهل مكة وما حولها، وذلك أن الناس قالوا: لتقطعن عنا الأسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق، فنزلت هذه الآية[٤].

وتظهر القيمة البلاغية في ذكر لفظي (العيلة، الغنى) في الإقناع، والإقناع هو: "حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده" [٥]، أو هو "رضا النفس بكامل جوانبها بالشيء المعتقد بعيدًا عن أي عامل خارجي"[٦].

١- صحيح البخاري، كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان، ولا يحج مشرك، رقم(١٦٢٢)،(١٥٣/٢) .

٢ - ينظر: نظم الدرر(٤٢٩/٨) .

٣- العيلة : الضيق والفقر " عالَ يَعِيلُ عَيْلًا وعَيْلة وعُيولًا وعِيُولًا ومَعِيلًا: افْتَقَرَ، والعَيِّلُ: الْفَقِيرُ" . لسان العرب، مادة (ع ي ل)، (٤٨٨/١١) .

٤- ينظر: تفسير الطبري (٤٠٥/١١) .

٥- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، أبو الحسن (ت: ٦٨٤هـ)، (ص٤)، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع .

٦- أساليب الإقناع في القرآن الكريم، لابن عيسى عبدالقاهر (ص١٥١)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠م.

وبما أن عملية الإقناع تتجه إلى إرضاء النفس بكل جوانبها، فإنه لا يمكن أن نفصل بين العقل والعاطفة؛ لأن إرضاء أحدهما لا يعني الآخر فقد يميل العقل إلى نتيجة وبرهان، بينما تكون العاطفة غير مطمئنة وراضية لهذه النتيجة .

ومثال هذا الإقناع بين العقل والعاطفة، الرجل المريض بداء السكري، العقل يطلب منه الامتناع عن أكل الحلوى، بينما العاطفة والشهوة تميل إليها، ولهذا كانت عملية الإقناع ناقصة في إحدى جوانبها .

لكن عند النظر إلى إقناع القرآن الكريم نراه قد أشبع العقل والعاطفة، فالغاية التي جاء من أجلها القرآن الكريم هي بيان وترسيخ الأسس الرئيسية الي يقوم عليها بناء العقيدة الدينية الصحيحة، وأقرب الطرق للوصول إلى هذه النتيجة هي الوفاء بحاجات النفس الإنسانية، وإشباع قواها العقلية والوجدانية؛ ليؤتي الإقناع ثمرته المرجوة عن طريق العقل والعاطفة معًا وليس أحدهما دون الآخر[١] .

وعند التأمل في الآية محل الشاهد، نجد أن الله ـ تعالى ـ حرم على المشركين دخول بيته الحرام بطريقة حكيمة لا ينفر منها السامع والمتلقي؛ وذلك من خلال أسلوب الإقناع الذي خاطب العقل والعاطفة معًا، فالعقل إن رفض عدم خروج المشركين من بيت الله الحرام؛ لأنهم يأتون بالتجارة فينتفع منها المسلمون، تجد العاطفة الدينية تخاطب العقل وتحثه على الطاعة، فيتحقق الإغناء المعيشي من غير وجود المشركين ببيت الله الحرام، وبهذا يكون أسلوب الإقناع القرآني قد أقنع العقل والعاطفة معًا؛ حتى يتحقق المطلوب في أقصى سرعة.

كما دل سياق الآية الكريمة على القدرة العظيمة للخالق ـ سبحانه ـ فلما وعد الله ـ تعالى ـ عباده المؤمنين بالغنى وكفاية المؤنة حال منع المشركين دخول المسجد

---

١ – ينظر: في رحاب القرآن لمحمد حسن آل ياسين (ص٦١)، ط١، دار المعارف، بغداد.

الحرام، استبعد أحد المسلمين هذا، فختمت الآية بقوله: " (إن الله) أي: الذي له الإحاطة الكاملة (عليم) أي: بوجوه المصالح (حكيم) أي: في تدبير استجلابها وتقدير إدرارها، ولقد صدق ـ سبحانه ـ ومن أصدق منه قيلًا فإنه أغناهم ـ بالمغانم التي انتثلها بأيديهم بعد نحو ثلاث سنين من إنزالها من كنوز كسرى وقيصر ـ غنى لم يطرق أوهامهم قط، ثم جعل ذلك سببًا لاختلاط بعض الطوائف من جميع الناس ببعض لصيرورتهم إخوانًا في الدين الذي كان سببًا لأن يجتمع في سوق منى وغيره في أيام الحج كل عام من المتاجر مع الغرب والعجم ما لا يكون مثله في بقعة من الأرض" [١]، فقد فاض على المسلمين من الخير ما لا يتوقعونه بسبب استجابتهم لأمر الله ـ تعالى ـ ورضاه عنهم.

وقد تكاتف السياق البعدي للآية الكريمة مع ما قبله في الدلالة على هذا المعنى، فـ " لما كان ذلك موضع تعجب يكون سببًا لأن يقال: من أين يكون ذلك الغنى؟ أجاب بقوله: (قاتلوا) أي: أهل الأموال والغنى (الذين لا يؤمنون بالله) ..." [٢]، فالسياق كله دل على كرم الله ـ تعالى ـ فمن ترك الدنيا لأجل الدين أوصله الله إلى مطلوبه من الدنيا والآخرة .

<u>الموضع السابع</u>: قال تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [٣]، جاءت الآية في سياق وعظ المؤمنين القادرين على زواج الأيامى[٤] الأحرار، وكذلك الصالحين من العبيد والإماء،

---

١ – نظم الدرر (٨/٤٣٣، ٤٣٤) .

٢ – المرجع السابق (٨/٤٣٤) .

٣– سورة النور، الآية (٣٢).

٤– " الأَيامى: الَّذِينَ لَا أَزواجَ لَهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ " . لسان العرب، مادة (أ ي م)، (١٢/٣٩).

فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج[١]، وقد أفاض البقاعي في مناسبة الآية لما قبلها في قوله: " ولما تقدم ـ سبحانه ـ إلى عباده في الأمور العامة للأحوال والأشخاص في الزنى وأسبابه، فحكم وقرر، ووعظ وحذر، أتبعه أسباب العصمة التي هي نعم العون على التوبة فقال مرشدًا: (وأنكحوا الأيامى)" [٢]، ومما يؤيد السياق في الحث على الزواج ذكر لفظي الفقر والغنى بأسلوب التقابل، والذي لم يرد إلا في هذا الموضع من هذه السورة، فالسياق كشف عن العلة الرئيسة في الهدف من الزواج، وهي الصون عن الفساد، والامتثال لما ندب إليه حديث " تَنَاكَحُوا، تَكْثُرُوا، فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..." [٣].

وقد ساهم ذكر الفقر والغنى في هذا السياق في معالجة الحالة الاقتصادية لغير القادرين لتكاليف النكاح، فالله ـ تعالى ـ أوجب على الأغنياء [٤] مساعدة الأيامى والإيماء؛ حفاظًا على قواعد الأسس الاجتماعية التي تتمثل في المحافظة على الأنساب والترابط الاجتماعي بين الفقير والغني .

١- تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن الأزدي البلخى، تح/عبد الله محمود شحاته (١٨٧/٣)، ط١، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٣ هـ .

٢- نظم الدرر (٢٦٥/١٣).

٣- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تح/حبيب الرحمن الأعظمي، كتاب النكاح، باب وجوب النكاح وفضله، من حديث سعيد بن أبي هلال، رقم (١٠٣٩١)، (١٧٣/٦)، ط٢، المجلس العلمي/ الهند، ١٤٠٣هـ.

٤- " صيغة الأمر في قوله تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم) إلى آخره مجملة تحتمل الوجوب والندب بحسب ما يعرض من حال المأمور بإنكاحهم: فإن كانوا مظنة الوقوع في مضار في الدين أو الدنيا كان إنكاحهم واجبا، وإن لم يكونوا كذلك فعند مالك وأبي حنيفة إنكاحهم مستحب، وقال الشافعي: لا يندب، وحمل الأمر على الإباحة، وهو محمل ضعيف في مثل هذا المقام إذ ليس المقام مظنة تردد في إباحة تزويجهم ". التحرير والتنوير (٢١٧/١٨) .

ومما يتآزر مع هذا المعنى التعبير بجملة الاستئناف البياني في قوله: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) فهذه الجملة وقعت جوابًا لسؤال مقدر في النفس أثارته الجملة الأولى في قوله تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) فلما جاء الأمر بالنكاح لهذه الأنواع، كأن السامع قال في نفسه، هل المتقدم للزواج حرًا أو عبدًا يملك النفقة أم لا؟، هل السيد يملك النفقة على عبده وزجته أم لا؟، هل السيد يملك مصاريف تجهيز أمته أم لا؟، فجاءت جملة (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) جوابًا على كل هذه الأسئلة التي أثارتها الجملة الأولى؛ لشدة تعلقها بها [1]، فالجملة أفاضت على السامع جوابًا شافيًا حيث لا يتردد لحظة في العزم على الزواج لمن أراد ذلك حرًا أم عبدًا سيدًا أم غير ذلك، فوعد الله بتيسير النكاح وتكاليفه واقع لا محالة.

كما ساهم السياق في الدلالة على مقتضى القدرة الإلهية في تيسير الزواج وتدبير المؤنة والكفاية لمن أراد العفاف، وذلك خلال التعبير بلفظي (الفقر، الغنى) فالتقابل بين الضدين أقظ فكر المتلقي نحو إغناء الله لمن رغب في الزواج حيث وفقهم ـ سبحانه ـ إلى ما يتعاطونه من أسباب الرزق التي اعتادوها مما يرتبط به سعيهم الخاص من مقارنة الأسباب العامة أو الخاصة التي تفيد سعيهم نجاحًا وتجارتهم رباحًا، فالله تكفل لهم أن يكفيهم مؤنة ما يزيده التزوج من نفقاتهم، فالله واسع يوسع على من يشاء من عباده [2].

ومما يؤيد أن السياق حث القادرين على مساعدة راغبي الزواج من الأحرار والعبيد رجالًا ونساءً، ما جاء بعد الآية محل الشاهد مباشرة في قوله تعالى: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ

١- ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣هـ)، تح/ د. عبد الحميد هنداوي (٥٠٩/١)، ط، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

٢- التحرير والتنوير (٢١٧/١٨) .

لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [١]، فـ " لما أمر سبحانه بما يعصم من الفتنة من غض البصر ثم بما يحصن من النكاح، وجرًا عليه بالوعد بالإغناء، وكان هذا الوعد فيما بعد النكاح، وقدم الكلام فيه ترغيبًا للإنسان في التوكل والإحصان، وكان قلبه ما قد يتعذر لأجله إما بعدم وجدان المهر وما يطلب منه تقديمه، أو بعدم رضى العبد وغيره يكون ولده رقيقًا أو غير ذلك، أتبعه قوله حاثًا على قمع النفس الأمارة عند العجز: (وليستعفف...)" [٢]، بعد بيان إغناء الله ـ تعالى ـ لمن تزوج فقيرًا؛ تأكيدًا ومبالغة في العفة من جميع وجوهها، فالسياق سياق إرشاد وتوجيه .

<u>الموضع الثامن</u>: قال تعالى :(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [٣]، الآية الكريمة دالة على الوعظ والإرشاد، فالسياق القبلي لهذه الآية دل على هذا المعنى، ولما كان بناء السورة دالًا على قتال الكافرين، والحث على النفقة وبذل المال في سبيله؛ لأنه من لوازم الجهاد ...إلخ، جاءت الآيات السابقة للآية محل الشاهد موضحة طبيعة النفس البشرية لما جبل عليه الإنسان من النقصان، فقد يهلك الإنسان جميع أمواله لهوا ولعبا بالمقامرة ونحوها، ولا ينهاه ذلك بل لا يزيده إلا إقبالا رجاء أن يظفر، ولو سئل جميع ماله أو أكثره في الطاعة لبخل، قال تعالى: (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا) [٤]، فالله ـ تعالى ـ أراد أن يرشد عباده إلى الأفضل والأحرى لهم، ففائدة البذل والعطاء أفضل من إمساك المال، فالمال لا ينبغي أن يحب لذاته بل لفائدته، ولما أخبر ـ سبحانه ـ عن بخل بعض المسلمين قال منبهًا

١- سورة النور، من الآية (٣٣) .

٢ - نظم الدرر (٢٦٧/١٣).

٣- سورة محمد، الآية (٣٨).

٤- سورة محمد، من الآية (٣٧).

لهم على حسن تدبيره لهم وعفوه عنهم :(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ) [1]، فالله ـ تعالى ـ لأهمية إرشاد عباده إلى النفقة في سبيله "جعل التنبيه في موضعين للتوكيد وكان التنبيه الذي في (هَؤُلَاءِ) تنبيها لازما " [2]، فالله ـ تعالى ـ أكد على أهمية النفقة في سبيله، فـ " من يبخل بالنفقة في سبيل الله، فإنما يبخل عن بخل نفسه؛ لأن نفسه لو كانت جوادا لم تبخل بالنفقة في سبيل الله، ولكن كانت تجود بها " [3].

هذا، وقد أسهم ذكر لفظي الفقر والغنى في الدلالة على السياق في قوله: (وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ)، أهمية كبيرة، فلام التعريف في لفظي (الغنى، الفقر) تفيد الجنس، والتعريف فيهما أفاد الحصر، أي: قصر جنس الغنى على الله، وقصر جنس الفقر على المخاطبين بقوله: (أنتم الفقر) قصر موصوف على صفة قصر ادعائي.

وتظهر بلاغة التعبير بلفظي الفقر والغنى في ثبوت جنس كمال الغنى لله ـ تعالى ـ وإن كان هذا الجنس يثبت إلى غيره على سبيل الادعاء والمبالغة، وكذلك ثبوت جنس كمال الفقر إلى الناس بالنسبة إلى الله ـ تعالى ـ وإن كان بعضهم قد يغنى في بعض الأحوال، لكن هذا الغنى قليل وغير دائم .

وجاء التعبير بلفظي (الفقر، الغنى) في هذا المقام تأكيدًا على محاربة البخل، وترغيبًا في العطاء، تأمل هذا الجو النفسي بين (الغنى والفقر) يشعرك بتخيل مشهد صورة البخيل وحاله أمام الله ـ سبحانه ـ منكسرًا نادمًا على مافعله في الدنيا من البخل والامتناع عن العطاء لله ـ تعالى ـ ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالتقابل في الآية

١- ينظر: نظم الدرر (٢٦٦/١٨ ــ ٢٦٨).

٢ - معانى القرآن لأبي الحسن المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)،تح/الدكتورة هدى محمود قراعة (٥٢٠/٢)، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٣- تفسير الطبري (١٩٢/٢٢).

محل الشاهد أظهر معنى الإثارة والقوة نحو هؤلاء البخلاء، وأحدث تهييجًا في نفوس السامعين الصالحين نحوهم " فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكًا وإيلاعًا بالانفعال إلى مقتضى الكلام؛ لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعًا من سنوح ذلك لها في شيء واحد، وكذلك حال القبح، وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهو أشد تحريكا لها، وكذلك أيضًا مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليا عن الآخر لتبين حال بالمثول إزاء ضده، فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبًا" [١] .

ومجيء لفظي الفقر والغنى في الآية محل الشاهد، أثار فكر المتلقي وكشف وفضح هؤلاء البخلاء " ولا شك أن البخل خطة ذميمة موجبة للخزي والعار في الدنيا والعذاب والنار في الآخرة، حتى إن العقلاء حذروا مخالطة البخيل ومشورته، فقالوا لا تدخلن في مشورتك بخيلا فإنه يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر " [٢] .

وقد وضَّح التقابل بين الغنى والفقر في النظم الكريم أن الإنسان مع هذا الشح والبخل، فقير إلى الأجر والثواب، وبحاجة إليهما، كما هو بحاجة إلى المال، وحاجته إلى الأجر والثواب أكثر؛ لذلك كانت الدعوة إلى الإنفاق، وما يترتب على ذلك من مضاعفة الأجر فى تلك الصورة المشرقة التى عرضتها الآية القرآنية، قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) [٣]، فتلك الأموال التى تنفق فى سبيله ـ سبحانه ـ لن تضيع هباء بل ستكون مضاعفة الأجر والثواب حسب قوة الإيمان فى صاحبها، وحسن نيته، وعمق إخلاصه،

١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء (ص ٤٤ ـ ٤٥) .

٢- بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا حويش (ت: ١٣٩٨هـ) ، (٣٣/٦) ، ط١، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢هـ/١٩٦٥ م

٣- سورة البقرة، من الآية (٢٦١) .

كتلك الحبة التى بذرت فى أرض خصبة، فتأتى بتلك الغلة المضاعفة، وليس هناك من إنسان عاقل يسمع هذه الدعوة ولا يبادر إلى مصلحة نفسه بالأجر المضاعف فى دنياه، والثواب العظيم فى أخراه[١] .

كذلك كان لذكر الفقر والغنى أهميته في الوعظ والإرشاد؛ لأن العطاء لله ينفع والمنع يضر، وقد أفاض البقاعي في قوله: " فمن افتقر منكم إلى فقير مثله وقع في الذل والهوان، وقد جرت عادتكم أن يداخلكم من السرور ما لا يجد إذا طلب من أحد منكم أحد من الأجواد الأغنياء شيئا طمعا في جزائه، فكونوا كذلك وأعظم إذا طلب منكم الغنى المطلق" [٢].

وقد كان للسياق البعدي لذكر الفقر والغنى أهميته في الكشف والتوضيح، فالآية محل الشاهد آخر آية من سورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما حث الله ـ تعالى ـ عباده على الإنفاق في سبيله وعدم البخل، عطف قوله: (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) على سبيل الترهيب والردع، فعلم من هذا أنه ـ سبحانه ـ لا بد من إذلاله للكافرين وإعزازه للمؤمنين؛ لأنهم إن أقبلوا على ما يرضيه فجاهدوا نصرهم نصرًا عزيزا بما ضمنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) وإن تتولوا أتى بقوم غيركم يقبلون عليه فيصدقهم وعده، فصار خذلانهم أمرًا متحتمًا، وهو معنى أول سورة محمد، فرجع بذلك أول السورة إلى آخرها [٣]، فقد كان للسياق أثره الواضح في الكشف عن المراد بطريقة بديعة .

١- ينظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن لعلى أحمد عبد العال الطهطاوى (ص٢٢٥)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م .

٢ – نظم الدرر (٢٧٠/١٨) .

٣ – ينظر: نظم الدرر(٢٧٢/١٨) .

الموضع التاسع: قال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [١] .

جاءت الآية الكريمة في سياق الوعظ والإرشاد لمن يستحق االفيء[٢] من المسلمين، وقد كشف السياق القبلي والبعدي للآية هذا المعنى، فلما بين الله ـ تعالى ـ الغنيمة في سورة الأنفال في قوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) [٣]، والفيء في سورة الحشر في قوله تعالى: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ) إلى قوله: (رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [٤]، و" هذان المالان اللذان خولهما الله من جعلهما له من أهل دينه، وهذه أموال يقوم بها الولاة لا يسعهم تركها، فالغنيمة والفيء تجتمعان في أن فيهما معًا الخمس من جميعهما لمن سماه الله ـ تعالى ـ ومن سماه الله ـ تعالى ـ في الآيتين معًا سواء مجتمعين غير مفترقين، ثم يفترق الحكم في الأربعة الأخماس بما بين الله ـ عز وجل ـ على لسان نبيه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وفي فعله فإنه قسم أربعة أخماس الغنيمة، والغنيمة هي الموجف عليها بالخيل والركاب لمن حضر من غني وفقير، والفيء وهو ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب " [٥]، وقد حكم الله هذا الحكم في الفيء المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وهو المرباع، ثم يصطفي منها بعد المرباع ما

---

١ – سورة الحشر، الآية (٨) .

٢ – الفيء: " ما ردَّه الله ـ تعالى ـ على أهل دينه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال، إما بالجلاء أو بالمصالحة، على جزية أو غيرها " . كتاب التعريفات (ص/١٧٠) .

٣ – سورة الأنفال، الآية (٤١) .

٤ – سورة الحشر، من الآية (٦ ـ ١٠).

٥ – نظم الدرر (١٩/٤٣٠).

شاء، فجعله الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقسمه فيما أمر به [١]، وقد نبه البقاعي على مناسبة آية الشاهد لما قبلها في قوله: "ولما نزع سبحانه أموال الفيء وما كانت عليه في الجاهلية، وبين مصرف الفيء من القرى، وتهدد في المخالفة في ذلك لصعوبته على النفوس، فكان ذلك جديرًا بالتقبل ...، فقيل له: (للفقراء...)" [٢]، والألصق بسياق الآية ذكر لفظي الفقر، والفضل، فالتعبير بلفظ الفقر كشف عن استحقاق هذه الطائفة للفيء فهم " هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبًا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة ...، الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها " [٣].

كما أن التعبير بلفظ (الفضل) في قوله تعالى: (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ) أي: "رزقًا يأتيهم" [٤]، حمل معنى الغنى ووضح مدى حاجة هذه الطائفة للمال، وأن طلب الغنى والرزق من الله ـ تعالى ـ لا يعتبر نقيصة لهذه الطائفة، وقد أفاض البقاعي في هذا المعنى بقوله: " ولما كان غلب الدنيا من النقائص، بين أنه إذا كان من الله لم يكن كذلك، وأنه لا يكون قادحًا في الإخلاص ...، وبين أنه لا يجب عليه شيء لأحد بقوله

---

١ – ينظر: بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، (٤٢٨/٣)، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لمحيي السنة، أبو محمد الحسين البغوي (ت : ٥١٠هـ)، تح/عبد الرزاق المهدي (٥٧/٥)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ .

٢ – نظم الدرر (٤٣٤،٤٣٥/١٩) .

٣ – تفسير الطبري (٢٨١/٢٣).

٤ – الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تح/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون (٢٧٣/٤)، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

تعالى: (فضلاً من الله) أي الملك الأعظم الذي لا كفوء له لأنه المختص بجميع صفات الكمال من الدنيا والدين والآخرة فيغنيهم بفضله عمن سواه" [١].

هذا، وقد كشف السياق عن مدح هذه الطائفة المستحقة للفيء (المهاجرين) في قوله : (وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)، " العريقون في هذا الوصف لأن مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الإيمان بالله ورسوله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حيث نابذوا من عاداهما " [٢]، ولما مدح الله المهاجرين طابت نفوس الأنصار فمدحهم في قوله :(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، ثم مدح من جاء بعدهم من أي طائفة كانت في قوله: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ)، فالسياق كله كشف عن وعظ المؤمنين نحو طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

١ – نظم الدرر (٤٣٦/١٩) .

٢ – المرجع السابق (٤٣٧/١٩) .

المبحث الثاني

الفقر والغنى في سياق القدرة الإلهية

جاء ذكر الغنى والفقر في هذا السياق دالًا على القدرة الإلهية، فالله ـ تعالى ـ هو الذي يغني ويفقر لحكمة اقتضاها، فمن أغناه ليس دليلًا على رضاه، ومن أفقره ليس دليلًا على سخطه، وقد جاء الفقر والغنى في هذا السياق بألفاظ تفيد هذا المعنى، كلفظ البسط بمعنى الغنى، ولفظ القدر بمعنى الفقر والضيق، وقد جاء ذلك في ثمانية مواضع:

الموضع الأول: قال تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) [١]، جاءت الآية الكريمة في سياق الدلالة على قدرته ـ تعالى ـ في السعة والضيق في الرزق، وحكمته البالغة في ذلك، فالسعة ليس دليلًا على الرضى، والضيق ليس دليلًا على السخط، فمن الناس من لا يصلحه إلا الغنى، ومنهم من لا يصلحه إلا الفقر والحاجة[٢]، ومما يؤيد هذا السياق ما ورد قبل هذه الآية، فالآيات السابقة لها تدل على هذا المعنى، فلما تقدم من الحث على الإنفاق وأنه من الأسباب الواصلة لأوامره ـ تعالى ـ وختم بطرد الكافرين من خصال الخير، وذلك من أول قوله تعالى: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) إلى قوله ـ تعالى ـ مخاطبًا الكافرين: (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) [٣]، فكان موضع ذلك أن يقول الكفار: ما لنا يوسع علينا مع بعدنا ويضيق على المؤمنين

١- سورة الرعد، الآية (٢٦).

٢- ينظر: تفسير الطبري (١٦/٤٣٠).

٣- سورة الرعد، الآيات (١٩ ـ ٢٥).

مع وصلهم واتصالهم، وما لهم لا يبسط لهم رزقهم ليتمكنوا من إنفاذ ما أمرهم الله به إن كان ذلك حقًا؟ فقيل: (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) [١] .

هذا، وقد أسهم اختيار لفظي البسط والقدر في الدلالة على السياق بصورة كبيرة، فاختيار لفظي البسط والقدر، كشف لنا أن الله ـ تعالى ـ له القدرة الملكوتية في التوسعة على بعض عباده فيكون منهم الطائع والعاصي، ويضيق على من يشاء فـ " يجعل رزقه بقدر ضرورته فيصبر أو يجزع لِحكَم دقت عن الأفكار، ثم يجعل ما للكافر سببًا في خذلانه، وفقر المؤمن موجبًا لعلو شأنه، فليس الغنى مما يمدح به، ولا الفقر مما يذم به، وإنما يمدح ويذم بالآثار" [٢]، كما أن السياق البعدي للآية محل الشاهد جاء تأكيدًا على قدرة الله ـ تعالى ـ وإرادته، فلما كانت السعة والضيق في الرزق بيده ـ سبحانه ـ أتبعه بأن الهداية والضلال بيده ـ تعالى ـ في قوله: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) [٣]، دلالة وتأكيدًا على قدرته وحكمته، فالله يوفّق من يشاء للإيمان ويخذل من يشاء فلا يؤمن .

<u>الموضع الثاني</u>: قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) [٤]، جاءت الآية الكريمة دالة على القدرة الإلهية في البسط والقدر، فالسياق القبلي لهذه الآية كشف عن التنفير من الإسراف والبخل في قوله تعالى : (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ... وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) [٥] فـ " لما كان سبب البخل الفقر، وسبب البسط محبة إغناء المعطي، قال مسليًا لرسوله ـ صَلَّى

١- ينظر: نظم الدرر (٣٣٣/١٠).

٢- نظم الدرر (٣٣٤/١٠).

٣- نظم الدرر (٣٣٤/١٠).

٤- سورة الرعد، الآية (٢٦).

٥- سورة الإسراء، الآية (٢٦ ــ ٢٩).

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عما كان يرهقه من الإضافة عن التوسعة على من يسأله بأن ذلك إنما هو لتربية العباد بما يصلحهم، لا لهوان بالمضيق عليه، ولا لإكرام للمسوع عليه: (إن ربك) " [١]، ومما يؤيد السياق التعبير بلفظي البسط، والقدر اللذان يحملان معنى الغنى والفقر، فالبسط بمعنى السعة والجود [٢]، والقدر بمعنى الضيق والحاجة[٣]، فالله ـ تعالى ـ يوسع على من يشاء من عباده ويضيق على من يشاء " ولكنه ـ تعالى ـ لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده، ولا بالمقبوض عنه أقصى مكروهه، فاستنوا في إنفاقكم على عباده بسنته في الاقتصاد " [٤]، فالتعبير بلفظي البسط والقدر ساهما في المراد من السياق بطريقة حقيقية، كما أن السياق البعدي للآية محل الشاهد ساهم في المراد بطريقة سريعة، فالله ـ تعالى ـ قال قبل الآية موض الشاهد: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)، فالله ـ تعالى ـ لما أخبر عباده في الآية محل الشاهد بأنه هو الرازق وأن الغنى والفقر بيده، أوصاهم بعدها بعدم قتل عيالهم؛ لأنهم كانوا يقتلونهم خشية الفقر، فالسياق كله يدور حول قدرة الله ـ تعالى ـ وإرادته في البسط والفقر.

<u>الموضع الثالث</u>: قال تعالى: (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [٥]، جاءت الآية الكريمة في سياق القدرة الإلهية على البسط والقدر، ولما تقدم من حال قارون وخسفه، استبصر الجهال الذين لا يرون سوى المحسوسات، عبر

١- نظم الدرر (٤٠٧/١١).

٢ - ينظر: لسان العرب، مادة (ب س ط)، (٢٥٨/٧) .

٣ - ينظر: المرجع السابق، مادة (ق د ر)، (٧٧/٥) .

٤ - نظم الدرر (٤٠٨/١١).

٥ - سورة القصص، الآية (٨٢).

ـ سبحانه ـ بحالهم فقال: (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس)[١]، ومما يؤيد هذا السياق، التعبير بلفظي البسط والقدر اللذين أكدا مدى قدرة الخالق ـ سبحانه ـ على الغنى والفقر، فالآية تدل على أن الذين تمنوا " مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس، يقولون لما عاينوا ما أحل الله به من نقمته، ألم تر يا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، لا لفضل منزلته عنده، ولا لكرامته عليه، كما كان بسط من ذلك لقارون، لا لفضله ولا لكرامته عليه، ...، ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك، ويقتر عليه، لا لهوانه، ولا لسخطه" [٢].

كما أن التعبير بلفظي البسط والقدر دل على دفع توهم من ظن أن قارون أوتي هذا المال على علم عنده، وأنهم إنما تمنوا علمه الذي يلزم منه على اعتقادهم حصول المال على كل حال [٣]، وعند النظر في المقام نرى أن التعبير بلفظي البسط والقدر يؤيد أن الله ـ تعالى ـ هو القادر على كل شيء، فلما تبين لهم أن الله هو الرازق أتبعوه بأنهم اعتقدوا أن الله قادر على ما يريد بخلاف الرزق؛ " لأنهم ذكروا منة الله في منعه إياهم ما تمنوا بالأمس مما أوتي قارون" [٤]، فالله ـ تعالى ـ تفضل عليهم فيما منعهم، وأنه ـ تعالى ـ لو أعطاهم لخسف بهم كما خسف بقارون، فهذا دليل واضح على دلالة السياق على القدرة والحكمة، فكما بين الله ـ تعالى ـ قدرته وحكمته في الدنيا في البسط والقدر في بين ـ سبحانه ـ قدرته البالغة في الآخرة في السياق البعدي للآية

١ – ينظر: نظم الدرر (٣٦٠/١٤).

٢ – تفسير الطبري (٣٤٣/١٨).

٣ – ينظر: نظم الدرر (٣٦٢/١٤).

٤ – تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح/د. مجدي باسلوم (٢٠٣/٨)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت،١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م .

محل الشاهد في قوله: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) [١]، فقدرته ـ تعالى ـ شملت الدنيا والآخرة .

الموضع الرابع: قال تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [٢]، جاءت الآية الكريمة في سياق القدرة الإلهية على البسط والقدر، فلما أشار الله ـ تعالى ـ بالتوكل إلى أنه الكافي في أمر الرزق في الوطن والغربة، ولا فرق بين الدواب العاقلة وغير العاقلة في الرزق في قوله تعالى: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) إلى قوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) [٣]، ولما هون الله ـ تعالى ـ أمر الرزق وجعله من اختصاصه على مخلوقاته، وأنهم يتفاوتون في الرزق، وكان قد يشكل على ذلك التفاوت في الرزق عند كل من لم يتأمل حق التأمل فيقال: بكل الخلق والرزق له، فما بالهم متفاوتين في الرزق؟ قال تعالى: (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر)[٤].

وقد كان لذكر البسط والقدر قدرته التامة في إيضاح المراد بصورة مؤثرة، فالخالق ـ سبحانه وتعالى ـ يبسط الرزق بقدرته التامة على خلقه لمن يريد من عباده، ويضيقه على من يشاء لحكمة لا يعلمها إلا هو، فالتفاوت في الرزق لمصلحة العباد، وأنت ترى أصحاب الشركات والمصانع يفاضلون مع عمالهم لحكمة يعرفونها، فما ظنك بخالق العباد، ولهذا ختمت الآية محل الشاهد بقوله: (إن الله بكل شيء عليم)، فهو عليم لما تقتضيه حكمته من أحوال المرزوقين.

---

١ – سورة القصص، من الآية (٨٣).

٢ – سورة العنكبوت، الآية (٦٢).

٣ – سورة العنكبوت، الآيات (٥٦ ـ ٦١).

٤ – ينظر: نظم الدرر (٤٧١/١٤).

ومما يؤيد أن السياق يدل على القدرة الإلهية في بسط الرزق وتقتيره، ما ورد في السياق البعدي للآية محل الشاهد في قوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [١]، فلما بين الله ـ تعالى ـ قدرته على الغنى والفقر، في موضع الشاهد، بين قدرته على نزول الماء من السماء، وكان هذا دليلًا على قدرته وعظمته في كل شيء .

الموضع الخامس والسادس: قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [٢]، وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [٣].

جاءت الآيتان في سياق الدلالة على القدرة الإلهية في البسط والقدر، وأن الله ـ تعالى ـ يبسط الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء، ولما كان مقصود سورة الروم يدل على أن غاية الأمر كله لله ـ تعالى ـ ولا يكفي فيه إلا بذل الجهد وإمعان النظر، بدأت الآية بالرؤيا في قوله: (أولم يروا)[٤]، ولما كان مقصود سورة الزمر بيان أنه ـ تعالى ـ صادق الوعد، ومطلق العلم كافٍ فيه، عبر بالعلم في قوله: (أولم يعلموا) [٥] .

ومما يؤيد السياق في آية الروم أن ما سبق آية الشاهد دل على قدرة الله ـ تعالى ـ وملكوته الذي له كل شيء في قوله: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ

---

١ – سورة العنكبوت، من الآية (٦٣) .

٢ – سورة الروم، الآية (٣٧) .

٣ – سورة الزمر، الآية (٥٢) .

٤ – ينظر: نظم الدرر (٩٦/١٥) .

٥ – ينظر: المرجع السابق (٥٣٢/١٦) .

سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) [١]، فالرحمة والرخاء، والشدة، والبلاء والجدب، كله من عنده ـ سبحانه ـ وهذا يدل على تمام قدرته.

ومما يؤيد السياق في الدلالة على القدرة، ما ورد بعد آية الشاهد في قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) [٢]، فالخلق والرزق والموت والحياة من تمام قدرته الباهرة التي لا ينكرها إلا مشرك .

ومما يؤيد سياق الدلالة على القدرة في آية الزمر، ما ورد في السياق القبلي لآية الشاهد، فالله ـ تعالى ـ حين أخبر أن الظالمين لم يغن عنهم ما جمعوه، وما عبدوه من دونه، وأن الله ـ تعالى ـ هو النافع والضار...إلخ، كما في قوله: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) [٣]، عطف قوله : (أو لم يعلموا أن الله)، إشارة وتأكيدًا على قدرته وعلمه الذي لا ينفد .

ولقد كان لاختيار لفظي البسط والقدر في هذا المقام دوره الأمثل في الإشارة إلى قدرته ـ تعالى ـ الباهرة، فـ " لولا أن ذلك كله منه وحده لما كان أحد ممن له قوة في الجسم وتمكن في العلم فقيرًا أصلًا " [٤] .

كما أظهر السياق البعدي للآية محل الشاهد تمام قدرته على مغفرة الذنوب من عباده في قوله: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [٥]، فالسياق من أوله إلى آخره يدل على قدرته ومغفرته لعباده سبحانه .

---

١ – سورة الروم، الآية (٣٦) .

٢ – سورة الروم، من الآية (٤٠) .

٣ – سورة الزمر، الآية (٥١) .

٤ – نظم الدرر (٥٣٢/١٦).

٥ – سورة الزمر، الآية (٥٣) .

الموضع السابع: قال تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [١]، جاءت الآية الكريمة دالة على قدرته البالغة في البسط والقدر لعباده، وأن البسط ليس دليلًا على رضاه ـ تعالى ـ كما أن القدر والضيق ليس دليلًا على سخطه، وقد سبقت الآية محل الشاهد بتسلية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) إلى قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) [٢]، ولما كانت هذه التسلية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الآخرة من حال الكافرين، والدنيا من سيرة أغنياء الأمم الماضية، تطييبًا لقلب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي: لا يهمك أمر أكابر قومك، فهذا شأن من سبقهم في المفاخرة والتكذيب الناتج عن التنعيم، ولما قال المترفون الكفار للفقراء المؤمنين فخرًا بزخارف الدنيا، وبما هو فتنة لهم نحن أكثر أموالًا وأولادًا منكم فى الدنيا وما نحن بمعذبين فى الآخرة ـ على تقدير وقوعها ـ لأن المكرم فى الدنيا لا يهان فى الآخرة، جاءت آية الشاهد ردًا عليهم : (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) [٣].

---

١ – سورة سبأ، الآيات (٣٦ ـ ٣٩) .

٢ – سورة سبأ، الآيات (٢٨ ـ ٣٥) .

٣ – ينظر: روح البيان لأبي إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، (٢٩٩/٧)، ط، دار الفكر، بيروت، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع .

وسياق الآية الكريمة يكشف بطلان اعتقاد الكافرين، الذين ظنوا أن البسط والتوسعة في الدنيا دليل على رضى الله ـ تعالى ـ في الآخرة، وأن القدر والتضييق دليل على سخطه، فلا عذاب مع التوسعة، ولا رحمة مع التضييق، وهذا اعتقاد خاطيء، وقد كشف خطأ هذا الاعتقاد، التعبير بلفظي البسط والقدر في الآية محل الشاهد، فالله ـ تعالى ـ يبسط ويوسع الرزق من الأموال والأولاد وغيرها على من يريد أن يبسطه له ويوسعه من مؤمن وكافر، ويقدر ويضيق على من يشاء أن يقدره عليه من مؤمن وكافر، حسب اقتضاء مشيئته المبنية على الحكم البالغة، فلا ينقاس على ذلك أمر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها، فليس فى التوسيع دلالة على الإكرام، كما أنه ليس فى التضييق دلالة على الإهانة[1].

وقد أكد هذا المعنى ما ورد بعد آية الشاهد مباشرة، في قوله تعالى: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)، مبالغة في تحقيق الحق، فهذه الأموال والأولاد ـ التي من الله بها على عباده ـ لا تكون سببًا في رفع الدرجات والمنازل عند الله ـ تعالى ـ إلا من آمن وعمل صالحًا واستخدم ما أعطاه الله له من المال والولد في مرضاة الله تعالى .

وقد جاءت الآية الثانية في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) مؤكدة للآية الأولى المشابهة لها، في دلالتها على قدرته وحكمته تعالى على السعة والضيق بين عباده المختلفين، وأن هذا لاعلاقة له بالسعادة والذل في الآخرة، فلما أبطل الله ـ تعالى ـ شبهت الكافرين الأغنياء في الأشخاص المختلفين، قرب ذلك بدليل واحد في شخص واحد فقال: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ)، أي: قل يا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهؤلاء الجهلة الذين يظنون أن

---

١ – **ينظر: المرجع السابق (٢٩٩/٧).**

الرزق بحسب حسن السعي وقبحه أو حسن حال الشخص عند الله وقبحها، إن ربي المحسن إليّ بهذا البيان المعجز يبسط الرزق متى شاء من عباده على سبيل التجدد المستمر من أيّ طائفة كان، ويضيق عليه نفسه في حالتين متعاقبتين، وهو بصفة واحدة على عمل واحد، فلو أن الإكرام والإنعام يوجب الدوام لما تغيرت حاله من السعة إلى الضيق، ولو أن في يده نفع نفسه لما اختلف حاله[١] .

ومما يؤيد السياق في الدلالة على القدرة الإلهية، الإخلاف في الرزق في قوله تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) إما فى الدنيا بالمال او بالقناعة، وإما فى الآخرة بالثواب والنعيم، أو فيهما جميعا، فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله[٢]، كذلك مما يؤيد السياق على قدرته ـ تعالى ـ العظيمة ما جاء بعد آية الشاهد مباشرة من أمر الحشر في قوله: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) [٣]، فالحشر وبعث الموتى دليل على قدرته وعظمته، فالسياق كله يدور حول قدرة الله وحكمته، وردع الكافرين وتكبيتهم.

<u>الموضع الثامن:</u> قال تعالى: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [٤]، جاءت الآية الكريمة دالة على القدرة الإلهية في البسط والقدر لعباده، ولما كان بناء هذه السورة يدور حول قدرته وعظمته في قوله: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) إلى قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[٥]، ولما قرر ـ تعالى ـ " أمر الوحي بما ثبت به من الإعجاز، وأراهم الآيات في الآفاق، بأن له ما في الوجود، وأنه هو الذي فطره، وكان ربما كان للإنسان شيء

---

١ – ينظر: نظم الدرر (٥١٧/١٥).

٢ – ينظر: روح البيان (٣٠١/٧).

٣ – سورة سبأ، من الآية (٤٠).

٤ – سورة الشورى، الآية (١٢).

٥ – سورة الشورى، الآيات (٤ ـ ١١).

ولم يكن كامل التصرف فيه بأن يكون مفاتيح خزائنه مع غيره من شريك أو غيره، وكان ربما اخترع الإنسان بناء وكان لغيره، أخبر ...، أن له ما في الخافقين وهو مخترعهما فله مفاتيح خزائنهما، فقال: (له) أي: وحده (مقاليد السماوات والأرض) أي: خزائنهما ومفاتيح خزائنهما من الأمطار والأنبات وغيرهما" [١]، وهذا دليل على قدرته وعظمته .

وقد جاء ذكر لفظي البسط والقدر دالًا على قدرته العظيمة في هذا السياق، فلما اختص الله ـ تعالى ـ بخزائن السموات والأرض، دل الفعل (يبسط) على قدرته العظيمة في التوسعة على مخلوقاته، ولا مانع له إلا بقدرته ـ جل وعلى ـ وكذلك الفعل (يقدر) بمعنى الضيق والحاجة، " أي يضيق ويقبض على من يشاء، كما وسع على فارس والروم، وضيق على العرب، وفاوت في الأفراد، بين أفراد من وسع عليهم ومن ضيق عليهم، فدل ذلك قطعًا على أنه لا شريك له وأنه هو المتصرف وحده فقطع بذلك أفكار الموفقين من عباده من غيره ليقبلوا عليه ويتفرغوا له، فإن عبادته هي المقاليد بالحقيقة " [٢]، فقد ساهم ذكر لفظي البسط والقدر في الدلالة القاطعة على قدرته وعظمته، وأن التفاوت بين الأفراد في الغنى والفقر، بل في الشخص الواحد، دال على عظيم قدرته وحكمته، ولهذا جاء تذييل الآية بقوله: (إنه بكل شيء عليم)، فـ " الله ـ تبارك وتعالى ـ بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع، وتقتيره على من يقتر، ومن الذي يُصلحه البسط عليه في الرزق، ويفسده من خلقه، والذي يصلحه التقتير عليه ويفسده، وغير ذلك من الأمور، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره، من صلاح تدبير خلقه" [٣].

---

١ – **نظم الدرر (٢٦٢/١٧).**

٢ – **المرجع السابق (٢٦٢/١٧).**

٣ – **تفسير الطبري (٥١١/٢١).**

ومما يؤيد السياق في الدلالة على القدرة الإلهية، ما ورد من السياق البعدي للآية محل الشاهد في قوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ)[١]، فلما ثبت من الآيات السابقة وآية الشاهد أنه ـ تعالى ـ له كل شيء، وأنه لا متصرف في الوجود سواه، أنتج ذلك أنه لا ناهج لطرق الأديان التي هي أعظم الرزق وأعظم قاسمة للرزق غيره [٢]، فالسياق كله يدور حول قدرته وملكوته على كل شيء .

١ – سورة الشورى، من الآية (١٣).

٢ – ينظر: نظم الدرر (٢٦٣/١٧).

المبحث الثالث

الفقر والغنى في سياق التهديد

جاء ذكر الفقر والغنى في سياق التهديد حاملًا دلالة واضحة في الكشف عن المراد بطريقة بديعة لا يقدر عليها مثله سبحانه، وقد ورد ذلك في موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [1]، جاءت الآية الكريمة دالة على تهديد الكفار من أهل مكة، والذي كشف عن هذا المعنى، السياق القبلي للآية في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) إلى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) [2]، فالآيات تحمل تذكيرًا ومواعظ لكفار مكة، ولم يظهر من كفار مكة أي استجابة، وربما زادهم ذلك عنادًا بأن الله ـ تعالى ـ محتاج لهم، كما أن السياق البعدي للآية محل الشاهد يؤيد هذا السياق في قوله تعالى: (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) [3]، فالله ـ عز وجل ـ " لما أشبع المقام أدلة، ومواعظ، وتذكيرات، مما فيه مقنع لمن نصب نفسه منصب الانتفاع والاقتناع، ولم يظهر مع ذلك كله من أحوال القوم ما يتوسم منه نزعهم عن ضلالهم، وربما أحدث ذلك في نفوس أهل العزة منهم إعجابا بأنفسهم واغترارا بأنهم مرغوب في انضمامهم إلى جماعة المسلمين فيزيدهم ذلك الغرور قبولا لتسويل مكائد الشيطان لهم أن يعتصموا بشركهم، ناسب أن ينبئهم الله بأنه غني عنهم وأن دينه لا يعتز بأمثالهم وأنه مصيرهم

---

١ – سورة فاطر، الآية (١٥) .

٢ – سورة فاطر، الآيات (٣ ــ١٤) .

٣ – سورة فاطر، الآيتان (١٦، ١٧) .

إلى الفناء وآت بناس يعتز بهم الإسلام " [١]، فصورة التهديد واضحة لمن عصاه سبحانه .

هذا، وقد جاء ذكر الفقر والغنى ـ في الآية موضع الشاهد ـ تأكيدًا للسياق، فالأسلوب القرآني رسم صورة المشركين بصورة الانكسار والذل والحاجة حين عبر بلفظ (الفقر)؛ وتأكيدًا على الكفاية وعدم الحاجة لعبادة المشركين حين عبر بلفظ (الغنى)، فالتقابل الضدي بين الفقر والغنى يمثل حاجة الناس إلى خالقهم، كما أن مقابلة الفقر بالغنى مع الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ أجلّ من أَن يسمَّى فقرًا، بل هو حقيقة العبوديَّة ولُبّها، وعزل النفس عن مزاحمة الربوبية، والفقر شيء أَخصُّ من هذه كلّها وهو الافتقار إلى الله فى كلِّ حالة، وهذا المعنى من أَحسن العبارات حتى يصير العبد كلّه لله لا يبقى عليه بقيَّة من نفسه وحظِّه وهواه، فمن بقى عليه شيء من أَحكام نفسه ففقره مدخول[٢].

وتظهر البلاغة القرآنية في أن الله ـ تعالى ـ أعلم الكافرين بالفقر إليه قبل غناه عنهم، وهذا يشير إلى معنى عظيمٍ في الذل والانكسار لهؤلاء الكافرين، فهم يعلمون أن الله على كل شيء قدير، وأنه ـ تعالى ـ له الملك، ولكن الأسلوب القرآني أراد قرع أسماع الكافرين بالفقر عسى أن يرجعوا إليه ـ سبحانه ـ كما يشير هذا المعنى إلى غفرانه ـ تعالى ـ لمن تاب من خلقه ورجع إليه .

وتأمل بلاغة التعبير بإتباع صفة (الغنى) بصفة (الحميد) على سبيل التكميل والاحتراس، وتظهر بلاغة التكميل في أنه ـ سبحانه غني عن عبادة الكافرين غير أنه يقضي حوائجهم، وليس معناه أنه غنى عنهم فلا يهمه أمرهم، وتظهر بلاغة الاحتراس في دفع توهم الكافرين أنه لما كان غنيًا عن استجابتهم وعبادتهم فهم معذورون في أن

١- التحرير والتنوير (٢٢/٢٨٥) .

٢- ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/٢٠٦) .

لا يعبدوه، فنبه على أنه موصوف بالحمد لمن عبده واستجاب لدعوته، وكذلك لما قيد فقر الكافرين بالكون إلى الله، قيد غنى الله ـ تعالى ـ بوصف الحميد؛ لإفادة أن غناه ـ تعالى ـ مقترن بجوده فهو يحمد من يتوجه إليه[١] .

والتقابل بين الفقر والغنى ـ في الآية الكريمة ـ يمثل معنى الثبوت والدوام الناتج من التعبير باسمية الجملة؛ إذ الفقر ثابت ومستمر في حاجة الناس إليه ـ سبحانه وتعالى ـ وغنى الله ـ تعالى ـ ثابت ومستمر عن حاجته إلى خلقه، كما أن التعبير بالجنس (الفقراء) أفاد فقر الناس إلى خالقهم ـ تعالى ـ في كل شيء من أمر أنفسهم وفيما يعن لهم من أمر مهم أو خطب ملم، والتعريف في لفظ (الفقر) دل على المبالغة في فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب، وأن افتقار سائر الخلائق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم [٢].

ولما كان سياق الآية يفيد تهديد كفار مكة، كان التعبير بلفظي الفقر والغنى أداة في ردع هؤلاء الكافرين ومن شاكلهم، فالجمع بين الضدين في الآية محل الشاهد أفاد التنبيه واليقظة على غنى الله عن خلقه وأنهم محتاجون إليه، فصورة الجمع بين الضدين تجعل السامع يوازن ويتأمل في قدرة الله وملكوته وضعف خلقه ثم يتخلص من ذلك إلى القناعة المشوبة بالخضوع والانكسار إليه ـ تعالى ـ الغني عن خلقه بما عنده من القدرة الملكوتية .

<u>الموضع الثاني:</u> قال تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) [٣]، الآية الكريمة دالة على تهديد ووعيد اليهود الذين قالوا على الله ـ تعالى ـ ما لا يليق، ولما كان من

١- ينظر: روح المعاني (٣٥٦/١١)، والتحرير والتنوير (٢٨٦/٢٢) .

٢- ينظر: روح المعاني (٣٥٦/١١) .

٣- سورة آل عمران، من الآية (١٨١).

جملة مباني السورة الإنفاق، وتقدم في غير آية مدح المنفقين والحث علي النفقة، كما أن الكافرين يسارعون في الكفر والنفقة في سبيل الشيطان، ولما سبقت الآية بالحث على بذل المال ـ لأنه من لوازم الجهاد ـ وعقوبة مانعي الزكاة [١] في قوله: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [٢]، أتبعه بقوله تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) على سبيل الاستئناف؛ " لمناسبة ذكر البخل لأنهم قالوه في معرض دفع الترغيب في الصدقات" [٣]، فاليهود من قديم الأزل حاقدين على المسلمين، فهم الذين قالوا: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) [٤]، "عن الإنفاق على عباده أي: أنه يبخل عليهم" [٥]، فكشف الله ـ تعالى ـ فقر وبخل اليهود وحاجتهم إليه تعالى، وأنه ـ سبحانه ـ معذبهم على هذا القول.

وقد أفاض البقاعي في مناسبة الآية محل الشاهد لما قبلها في قوله: " ولما كان العمل شاملاً لتصرفات الجوارح كلها من القلب واللسان وسائر الأركان قال ـ دالاً على خبره بسماع ما قالوه متجاوزين وهدة البخل إلى حضيض القبح مريدين التشكيك لأهل الإسلام بما يوردونه من الشبه قياسًا على ما يعرفونه من أنفسهم من أنه ...، لا يطلب إلا محتاج ـ (لقد سمع الله) " [٦] .

هذا، وقد أظهر السياق أن اختيار لفظي الفقر والغنى في الآية محل الشاهد له كبير الأثر في الدلالة على المراد بصورة واضحة، فالتعبير بلفظ الفقر الذي دل على الحاجة والعوز مستحيل على الله ـ تعالى ـ وجرئة اليهود وادعائهم أن الله فقير ومحتاج يقتضي وعد الله لهم بالعذاب، كما أن التعبير بلفظ الغنى يشير على كذب اليهود ومدى بغضهم

١- ينظر: بيان المعاني (٥/٤٣٥) .

٢- سورة آل عمران، الآية (١٨٠) .

٣- التحرير والتنوير(٤/١٨٣).

٤- سورة المائدة، من الآية (٦٤) .

٥- بيان المعاني (٦/٣٤٥).

٦- نظم الدرر (٥/١٣٩)

وحقدهم على المسلمين، فلفظ الغنى الذي دل على الكفاية وعدم الحاجة للغير كشف وفضح صورة اليهود الحاقدة للمسلمين، فهم يريدون تشكيك المسلمين في عقيدتهم، فالله فقير لطلبه القرض، ونحن أغنياء لكونه يطلب منا، وهذا يقتضي المحاسبة والجزاء .

فالتعبير بـ (الغنى، الفقر) أحدث دلالات عجيبة في نفوس السامعين، وآثار ذهن المتلقي نحو هؤلاء المتطاولين عليه ـ سبحانه ـ فجعل فعلهم لا ينسى محفوظ عنده إلى يوم القيامة في قوله : (سنكتب ماقالوا وقتلهم الأنبياء)، " وقرأ حمزة (سيكتب) بالياء والبناء للمفعول (وقتلهم) بالرفع، (ويقول) بصيغة الغيبة؛ ذلك إشارة إلى العذاب المحقق المنزل منزلة المحسوس المشاهد" [1]، فالكتابة كناية عن الحساب والعقاب، كما أن قتلهم الأنبياء بغير حق يقتضي العقاب .

ومما يؤيد دلالة الآية محل الشاهد على التهديد والوعيد لليهود، السياق البعدي، في قوله تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ... فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) [2]، فالسياق كشف كذب هذه الطائفة من اليهود، فهم قالوا (إن الله فقير)، وقالوا: (إن الله عهد إلينا)، " وافتراؤهم على ربهم اغترارًا بإمهال الله إياهم، ولا يَعظمن عليك تكذيبهم إياك، وادعاؤهم الأباطيل من عهود الله إليهم، فإنهم إن فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله، فقد كذَّبت أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العذرَ، والأدلة الباهرة العقلَ، والآيات المعجزة الخلقَ " [3]، فالمقام مقام وعيد وتهديد لليهود، وفي الوقت نفسه تثبيت لعقيدة المؤمنين .

١- **روح المعاني (٣٥٣/٢)** .

٢- **سورة آل عمران، الآيتان (١٨٣، ١٨٤)**.

٣- **تفسير الطبري (٤٥٠/٧)** .

المبحث الرابع

الفقر والغنى في سياق أحكام الأسرة

جاء الفقر والغنى وما في معناهما في سياق أحكام الأسرة دالًا على معالجة الحالة الاقتصادية للمطلقين، فالألفاظ التي دلت على الفقر والغنى ـ في هذا السياق ـ دلت على تشريع بعض الأحكام المتعلقة بالأسرة كالطلاق قبل الدخول والنفقة على المرأة المطلقة طلاقًا بائنًا في أسلوب متقابل يحمل اليقظة والانتباه للسامع حتى يفطن إلى المطلوب بطريقة سريعة، وقد جاء ذلك في موضعين :

الموضع الأول: قال تعالى: (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ)[١]، جاءت الآية الكريمة في سياق الصداق للمرآة المطلقة قبل الدخول، وقد كشف عن هذا المعنى السياق القبلي لهذه الآية في قوله تعالى: (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) إلى قوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[٢]، فـ " لما تمت أحكام العدد وما يتبعها مما حق الرجال فيه أغلب أتبعها أحكام الأصدقة، ولما كان الكلام قد طال في أحكام الطلاق والموت ولم يذكر الصداق، وكان قد ختم تلك الأحكام بصفتي الغفر والحلم، وكان الصداق معلومًا عندهم قبل الإسلام اقتضى ذلك السؤال: هل يجب للمفارقة صداق أو هو مما دخل تحت المغفرة والحلم فلا يجب؟ فقيل: (لا جناح عليكم) أي: لا تبعة من مهر ولا غيره إلا ما يأتي من المتعة" [٣].

---

١ – سورة البقرة، الآية (٢٣٦).

٢ – سورة البقرة، الآيات (٢٢٦ـ ٢٣٥).

٣ – نظم الدرر (٣/٢٥١، ٢٥٢).

وقد تآزر مع السياق التعبير بلفظي (الموسع، المقتر) فـ (الموسع) بسكون الواو وكسر السين على قراءة الجمهور، هو الذي أوسع أي: اتسعت حالته، وهناك قراءة (الموسّع) بفتح الواو وشد السين وفتحها، وكل ذلك يدل على الغنى واليسر، و(المقتر) هو المقل القليل المال[١]، وتظهر القيمة البلاغية في ذكر لفظي الموسع والمقتر في الدلالة على الإقناع من خلال العرض والتصوير، وكأن التقابل الضدي يعرض على المطلق حالته الاقتصادية ويصورها له بين مشهدين مختلفين، صورة الرجل الغني الذي يعطي المرأة بوفرة، وصورة الرجل الفقير الذي يعطي على حسب ظروفه، فالجمع بين المتقابلين أعطاه مساحة الاختيار التي تناسب حالته وظروفه المادية في متعة المطلقة قبل الدخول، كما أفاض الجمع بين المتقابلين معنى البرهان والاستدلال في أن هذه المتعة غير محددة كل واحد على حسب قدرته وحالته، وأن هذا الأمر مما ارتضاه الله وأنزله في كتابه.

كما أفاد ذكر لفظي الموسع والمقتر ـ في هذا المقام ـ جبر خاطر المطلقة لما وقع من الكسر بالطلاق على حسب حال المطلقين والمطلقة من غير مس ولا فرض تستحقه للمتعة، كل على قدر حاجته [٢] .

ومما يؤيد السياق في حق المطلقة قبل الدخول في المتعة، ما ورد من آيات بعد الآية محل الشاهد في قوله:(وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً) إلى قوله: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [٣]، فالآيات تدل على تشريع الأحكام فيما يخص الأسرة وغيرها، فالله ـ تعالى ـ له الحكمة البالغة في إظهار

١- ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تح/عبد السلام عبد الشافي محمد (٣١٩/٣١٨/١)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٢ – ينظر: نظم الدرر (٢٥٣/٣، ٢٥٤).

٣ – سورة البقرة، الآيات (٢٣٧ ـ ٢٤٢).

آياته وتوضيحها؛ حتى يعرف الناس أمور دينهم، فالسياق متلاحم في بيان التشريعات التي تخص الأسرة حتى تتم المعالجة بصورة مرضية .

الموضع الثاني: قال تعالى: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) [١]، جاءت الآيتان للدلالة على وجوب السكن والنفقة للمطلقة طلاقًا بائنًا، والآيتان تفيدا التذييل لما سبق من أحكام تتعلق بالطلاق والعدة، ولما كان مقصود السورة حسن التدبير في المفارقة والمهاجرة بتهذيب الأخلاق، بالتقوى لا سيما في الإنفاق، لا سيما إن كان ذلك عند الشقاق، لا سيما إن كان في أمر النساء لا سيما عند الطلاق، ليكون الفراق على نحو التواصل والتلاق[٢]، جاءت آيتا الشاهد دلا على أن المطلقة البائنة لها من السكن والنفقة على قدر حالة المطلق وظروفه .

ولمَّا سبق آيتا الشاهد من جملة الشرط في قوله: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) [٣]، " كأنه قيل: كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات، فقيل: (أسكنوهن)" [٤]، فلفظ (أسكنوهن) بيان لشرط التقوى ورضى الله عز وجل.

هذا، وقد أبرز السياق أهمية الدلالة على المسكن والنفقة للمطلقة البائنة من خلال التعبير بما يدل على الفقر والغنى من ألفاظ كان لها كبير الأثر في الدلالة على المراد

---

١ – سورة الطلاق، الآية (٦، ٧).

٢ – ينظر: نظم الدرر(١٣٩/٢٠) .

٣ – سورة الطلاق، من الآية (٤) .

٤ – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، (٥٦٤/٣٠)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ .

بصورة سريعة، فالتعبير بالألفاظ (الوجد[١]، اليسر، الضيق، القدر، العسر) كشف عن المراد بطريقة بديعة، فلفظ الوجد واليسر يدلان على الغنى، ولفظ الضيق والقدر والعسر تدل على الفقر والحاجة، واجتماع الألفاظ الضدية ـ في هذا المقام ـ يدعو المخاطب نحو المطلوب بصورة سريعة، فالسكن والنفقة للمطلقة البائنة من شروط تقوى الله ـ تعالى ـ ومرضاته، فالذي بانت منه امرأته، إذا كان ذا سعة من المال، وغنى من سعة ماله، وغناه على امرأته البائنة في أجر رضاع ولده منها، وعلى ولده الصغير، ومن ضيق عليه رزقه فلم يوسع عليه، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله، وما أعطى منه[٢] .

وتأمل البلاغة القرآنية في اصطفاء الأساليب، فلما أمر الله ـ تعالى ـ بالسكن للمطلقة البائنة حتى تستطيع قضاء الحوائج والضروريات في قوله تعالى: (من حيث سكنتم) أي: من أماكن سكناكم لتكون قريبة منكم ليسهل تفقدكم لها للحفظ وقضاء الحاجات، ولما كان الإنسان ربما سكن في ماضي الزمان ما لا يقدر عليه الآن قال مبينًا للمسكن المأمور به مبقيًا للموادة بعدم التكليف بما يشق: (من وجدكم) أي: سعتكم وطاقتكم بإجارة أو ملك أو إعارة حتى تنقضي العدة بحمل كانت أو غيره، ولما كان السكن للمطلقة البائنة يحفظ بقاء المودة التي كانت في السابق، أمر الله ـ تعالى ـ المطلق أن لا يضيق عليها " تضييقًا بالغًا لا شبهة في كونه كذلك مستعليًا" [٣]، فالتضييق ممكن

---

١ – الوجد : (الوسع والغنى) . ينظر: مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تح/ يوسف الشيخ، مادة (و ج د)، ط٥، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢ – ينظر: تفسير الطبري (٦٨/٢٣) .

٣ – نظم الدرر (١٦٠/٢٠) .

أن يكون شاملًا الحسي كضيق السكن والفقر، وممكن أن يكون معنويًا كالحالة النفسية للمطلقة البائنة، فالله ـ تعالى ـ نهى عن التضييق عمومًا مراعاة للتلاق والمواددة.

ولما كان الأمر بالسكن والنفقة للمطلقة بائنًا، جعله الله ـ تعالى ـ مناسبًا لحالة المطلق الاقتصادية، فكل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه [١]، فاختيار الألفاظ التي هي في معنى الغنى والفقر ـ في هذا المقام ـ جاءت مناسبة، ووضحت المراد بطريقة سريعة.

ومما يؤيد السياق، ما ورد من الآيات بعد آيتا الشاهد في قوله: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا) [٢]، فالخالق ـ سبحانه ـ لما وضح المواعظ ورغب لمن أطاعه، لم يبق إلا التهديد جزاء لمن فرط وعصى، فالسياق متلاحم في إيصال الأحكام لعباده بصورة حكيمة متناسقة .

١ – ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح/محمد عبد الرحمن المرعشلي (٢٢٢/٥)، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ .

٢ – سورة الطلاق، الآية (٨) .

المبحث الخامس

الفقر والغنى في سياق التذكير والتبشير

كشف هذا السياق مدى امتنان الله ـ سبحانه ـ لرسوله ـ ﷺ ـ وفضله الكبير عليه، وتبشيره بما يضمن ترسيخ العقيدة في قلبه ـ ﷺ ـ وجاء ذلك في موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى: **(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)** [1]، دلت الآية الكريمة على التذكير والامتنان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسياق الآية الكريمة دل على هذا المعنى، فلما وعده ـ تعالى ـ " بأنه لا يزال في كل لحظة يرقيه في مراقي العلا والشرف، ذكره بما رقاه به قبل ذلك من حين توفي أبوه وهو حمل وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين، فتم يتمه من الأبوين قبل بلوغه لئلا يكون عليه ... حق لمخلوق، فقال مقررًا له (ألم يجدك ...) " [2] تذكيرًا وتثبيتًا لقلب الرسول ـ ﷺ ـ حتى يطمئن قلبه ويعلم فضل الله ـ تعالى ـ عليه، فيبادر إلى الدعوة والحفاظ على الرسالة الشريفة التي اختصه الله بها.

وقد كان لذكر لفظ الغنى وما دل على الفقر (عائلًا) في قوله: (ووجدك عائلًا فأغنى) نصيبه الأوفر في توضيح المراد، فالمقام يقتضي ذكر الأدلة والبراهين التي من شأنها تزيد من تثبيت قلب الرسول ـ ﷺ ـ ونصره ومؤازرته إياه؛ لتثبيت طريق الدعوة وانتشارها في كل مكان، فيكون الرسول ـ ﷺ ـ هو الداعم والمؤيد لأتباعه في هذا الطريق الشاق، ولما كان الأمر كذلك جاء التعبير بلفظ الغنى وما هو في معنى الفقر

١- سورة الضحى، الآية (٧) .

٢- نظم الدرر (١٠٩/٢٢) .

(عائلًا) كاشفًا تكريم الله ـ تعالى ـ لرسوله ـ ﷺ ـ بأن وجده ذا عيال لا يقدر على التوسعة عليهم أو فقيرًا، فأغناه بكسب الغنائم أو بمال خديجة أو بالقناعة [١].

وذكر لفظ الغنى وما يدل على الفقر ـ في هذا المقام ـ بطريقة التقابل، يكشف الفرق الشديد بين حاليه ـ ﷺ ـ حاله قبل البعثة، وحاله بعد البعثة، كما يبرز البعد الشديد بينهما، فيكون ذلك أدعى لبث الثقة، والطمأنة لقلبه الشريف صلوات الله وسلامه عليه .

ومما يؤيد السياق ما ورد بعد الآية محل الشاهد في قوله: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) [٢]، فالله ـ تعالى ـ أراد لرسوله التكريم والتعظيم فلما كان محط أنظار الناس، أمره بما يفعل مع اليتيم والسائل، فالسياق كله كأنظمة اللؤلؤ المتناسقة، والذي كشف عن هذا الربط بالفاء في آخر السورة، فكأنه قيل إذا أقررت بذلك فاشكر ربك على ما أنعم وداوم في تبليغ رسالته .

<u>الموضع الثاني:</u> قال تعالى: قال تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[٣]، جاءت الآيتان الكريمتان تبشيرًا للرسول ـ ﷺ ـ فلما حمل الرسول ـ ﷺ ـ أعباء النبوة فكان يلقى من قومه من الأذى والكرب والبلاء ما لم يحمله غيره، بشره الله ـ تعالى ـ بأنه ييسر له جميع ذلك ويلين قلوبهم فيظهر دينه على الدين كله، ويغني أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ بعد عيلتهم، ويكثرهم بعد قلتهم، ويعزهم بعد ذلتهم، ويصير هؤلاء المخالفون له أعظم الأعضاد، وينقاد له المخالف أتم انقياد، ويفتح له أكثر البلاد، ليكون هذا العطاء في اليسر بحسب ما كان وقع من العسر[٤].

هذا، وقد أسهم التعبير بلفظي العسر واليسر إسهامًا كبيرًا في التنبيه على المراد بصورة كبيرة، فالعسر الذي دل على الضيق والشدة يحمل في مكنونه تبشيرًا للرسول ـ ﷺ ـ

١- ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، (٧٦٨/٤)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ .

٢- سورة الضحى، الآيات (٩ ـ١١) .

٣ - سورة الشرح، الآيتان (٦/٥) .

٤ - ينظر: نظم الدرر (١٢٣/٢٢) .

فالله ـ تعالى ـ أراد أن يخبر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن مع الشدة التي وجدها من جهاد هؤلاء المشركين، رجاءً وفرجًا بأن يظفر بهم، حتى ينقادوا للحق الذي جاءهم به طوعا وكرها [١].

وتظهر بلاغة التعبير بلفظي العسر واليسر في هذا المقام تأكيدًا على بشارة الرسول ـ ﷺ ـ فالجمع بين العسر الذي دل على الضيق والشدة، "واليَسَرُ والياسِرُ مِنَ الْغِنَى والسَّعَة"[٢]، أيقظ فكر المتلقي وحرك أحاسيسه ووجدانه نحو تبشير الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزيادة في التسلية وتقويةً للقلوب .

كما تظهر بلاغة التكرار في الآية محل الشاهد، حيث " كان العسر مكروهًا إلى النفوس، وكان لله ـ سبحانه وتعالى ـ فيه حكمًا عظيمة، وكانت الحكم لا تتراءى إلا للأفراد من العباد، كرره ـ سبحانه وتعالى ـ على طريق الاستئناف لجواب من يقول: وهل بعده من عسر؟ مؤكدًا له ترغيبًا في أمره ترقبًا لما يتسبب عنه مبشرًا بتكريره مع وحدة العسر، وإن كان حمل كل واحد منهما على شيء غير ما قصد به الآخر ممكنًا فقال: (إن مع العسر) أي: المذكور فإنه معرفة، والمعرفة إذا أعيدت معرفة كانت غير الأولى سواء أريد العهد أو الجنس (يسرًا) أي: آخر لدفع المضار والمكاره، فإن النكرة إذا أعيدت نكرة احتمل أن تكون غير الأولى" [٣].

والسياق من أوله إلى آخره يكشف مدى إكرام الله ـ تعالى ـ لرسوله ـ ﷺ ـ وحبه له، فلما أعطاه ـ سبحانه ـ من اليسر بعد العسر أراده أن يدوام على شكره وتسبيحه والرجوع إليه والرغبة فيما عنده في قوله: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) [٤]، ليناسب آخر السورة أولها .

---

١ – ينظر: تفسير الطبري (٤٩٥/٢٤) .

٢ – لسان العرب، مادة (ي س ر)، (٢٩٦/٥) .

٣ – نظم الدرر (٢٦/٢٢) .

٤ – سورة الشرح، الآيتان (٧،٨) .

المبحث السادس

الفقر والغنى في سياق حال الإنسان

جاء التعبير بالفقر والغنى وما في معناهما في هذا السياق كاشفًا طبيعة الإنسان، ومدى كرم الله ـ تعالى ـ له، وقد جاء ذلك في موضع واحد، قال ـ تعالى ـ (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) [١]، جاءت الآيتان الكريمتان في سياق التعريف بالإنسان وحاله، ولما ذكر الله ـ تعالى ـ ما فعله بالطغاة من قوم عاد وثمود وفرعون في قوله: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ) إلى قوله: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) [٢]، وأن عادة هؤلاء الفِرَق كانت الطغيان، وأن عادة الرب ـ سبحانه ـ فيمن تولى وكفر أنه يعذبه بما شوهد في الأمم السابقة، وأنه ـ تعالى ـ لا يغفل ذكر عادة الإنسان من حيث هو من غير تقييد بهؤلاء الفرق عن الابتلاء في حالي السراء والضراء فقال :(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ)، الذي أودع الحجر ليعقل هذه الأقسام، وما يراد منه من اعتقاد المقسم عليه بها، وجبل على النسيان والأنس بنفسه والمحبة لها والرضى عنها [٣] .

ولما كانت طبيعة الإنسان النسيان والأنس بنفسه، فإذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى وأكرمه بالمال، وأفضل عليه، ونعمه بما أوسع عليه من فضله، فيقول ربي أكرمني بهذه الكرامة، فيفرح بذلك ويسرّ به، وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر، فضيَّق عليه رزقه وقَتَّره، فلم يكثر ماله، ولم يوسع عليه، فيقول ذلك الإنسان: ربي أهانني، ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه، ورزقه من العافية في جسمه[٤] .

---

١ – سورة الفجر، الآيتان (١٥، ١٦) .

٢ – سورة الفجر، الآيات (٦ ـ ١٤) .

٣ – ينظر: نظم الدرر (٣٢/٢٢) .

٤ – ينظر: تفسير الطبري (٤١٢/٢٤) .

وها أنت ترى أن اصطفاء الألفاظ التي تدل على الغنى كالإكرام والنعمة، وما يدل على الفقر كالقدر والذل والإهانة، كانت لها النصيب الأوفر في إيضاح المعنى وإبرازه للسامع بطريقة لطيفة، فالتقابل بين الأضداد وسع دائرة اليقظة عند السامع، وألهمه ذلك المقارنة والتفكر، فالله ـ تعالى ـ يراقب أحوال عباده ومجازيهم بأعمالهم خيرًا أو شرًّا، فأمّا الإنسان الغافل فلا يهمه ذلك، وإنما مطمح نظره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائذها، فإذا ما ابتلاه الخالق ـ سبحانه ـ وعامله معاملة من يبتليه ويختبره فأكرمه ووسع عليه، فيقول ذلك الإنسان رب أكرمني وفضلني بما أعطاني من الجاه والمال حسبما كنت أستحقه، والإكرام والتنعيم هو عين الابتلاء، ولا يخطر ببال هذا الإنسان أن الله ـ تعالى ـ أعطاه ذلك ليبلوه أيشكر أم يكفر، وإذا منعه الله ـ تعالى ـ الرزق وضيق عليه، يقول ربي أهانني وأذلني، ويكون ذلك أكبر همه، ولا يدري ذلك الإنسان أن هذا محل اختبار وارتقاء لدرجة أعلى وأعظم عند الله ـ سبحانه ـ فقد يكون الإقتار سببًا لسعادة الدارين، والتوسعة قد تؤدي إلى شقاوتهما [1] .

وعند مطالعة السياق البعدي لمحل الشاهد نرى أن الله ـ تعالى ـ عبر بأداة الردع (كلا) في قوله تعالى: (كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) [2]، والمعنى : " إني لا أكرم بتكثير الدنيا ولا أهين بتقليلها، لا التوسعة منحصرة في الإكرام ولا التضييق منحصر في الإهانة والصغار، وإنما أتتهم الإهانة من حيث إنهم لا يطيعون الله، وربما كان بالتوسعة، وربما كانت بالإقتار، فربما عصى فوسع عليه إهانة له، وهذا لمن يريد سبحانه به الشقاء فيعجل له طيباته في الدنيا استدراجًا، وربما عصى فضيق عليه

١- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس الحسني الصوفي(ت:١٢٢٤هـ)، تح/ أحمد عبد الله القرشي رسلان(٧/٣٠٠)، نشر وطبعة، د/ حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩ هـ.
٢- سورة الفجر، الآية (١٧) .

إكرامًا له؛ لأن ذلك يكفر عنه " [١]، وإنما كانت الإهانة من أجل عدم إكرام اليتيم، وإطعام المسكين ...إلخ، اعتقادًا بأن ذلك يوفر لهم الأموال وهذا اعتقاد خاطيء، وما ورد بعد ذلك من آيات يفيد هذا المعنى تأمل قوله تعالى: (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) [٢]، فالسياق يدل على الزجر وعلى ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من عدم التعلق بالمال، فالأرض ومن عليها إلى زوال .

الخاتمة ،،،

وبعد هذه النظرات التحليلية البلاغية لمقامات ذكر الغنى والفقر وما في معناهما في القرآن الكريم، يمكن التنبيه على بعض النتائج التي من أهمها:

- ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض حتى كأنها كلمة واحدة تناسب معناها واتحد مبناها، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، فلو أنك وضعت آية مكان أخرى أو كلمة موضع أخرى لذهبت البلاغة والإعجاز .
- الغنى والفقر من الثنائيات التي اهتم بها القرآن الكريم؛ ليقظة السامع وتنبيهه إلى الأفضل؛ إذ الحالة الاقتصادية من القضايا التي تهم الإنسان في معيشته وحياته فبها تكون عمارة الأرض .
- القرآن الكريم في منهجه يحارب الفقر، ويرى أن الغنى نعمة يستوجب الشكر، فالفقر خطر على الفرد والأسرة، فقد يكون سببًا لعدم الزواج وقد يكون من أسباب الطلاق، كما أن الفقر خطر على الفكر الإنساني؛ لأن الإنسان إذ لم يجد

١- سورة الفجر، من الآية (١٧) .

٢- سورة الفجر، الآية (٢١) .

ضروريات الحياة تراه قد خرب ودمر، ألم يكن في الجاهلية من يقتل أولاده خشية الفقر.

- القرآن الكريم من خلال الجمع بين المتضادين الفقر والغنى وما في معناهما، قد ساهم في علاج كثير من المشكلات الاقتصادية، كالنفقة على المطلقة، ومساعدة المحتاجين وراغبي الزواج ...إلخ .
- ساعد القرآن الكريم من خلال الجمع بين الضدين الفقر والغنى وما في معناهما في تثبيت العقيدة، كالرد على اليهود، وفضح الشيطان، والافتقار إلى الله وحده .
- الفقر والغنى وما في معناهما في القرآن الكريم أحد طرق العرض؛ حيث يعرض الشيء وضده، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، فالقرآن الكريم لا تنفد أسراره مع تعاقب الأزمان، فهو يعرض الحق الذي لا يشوبه باطل، ويسوق الهداية التي ليس بعدها هداية .
- التقابل بين الغنى والفقر وما يدل عليهما في الأسلوب القرآني، حرك قوى النفس العقلية لدى السامع فمن خلالها يقيم موازنة بين الأشياء المختلفة، ينتهي من خلالها إلى إصدار حكم نهائي وفق منهج سليم .
- ذكر الغنى والفقر وما يدل عليهما في القرآن الكريم، يفيد البرهان والاستدلال، فالسامع من خلال الجمع بين المتضادين يستطيع أن يستدل على الحقيقة بسهولة ويسر .
- الغنى والفقر وما في معناهما في النظم الواحد، قد أفادا نوعًا من التصوير الذي يؤدي إلى الإقناع والتأثير على السامع، فالتصوير يشكل مع بقية الأساليب بيانًا وإيضاحًا، وأداة تأثير وإقناع .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله .

١. أثر السياق في اصطفاء الأساليب للأستاذ الدكتور/ إبراهيم صلاح الهدهد، ط١، دار الكتب المصرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

٢. أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الجصاص، تح/محمد صادق القمحاوي ، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ .

٣. أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله بن العربي، تح/محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٤. أساليب الإقناع في القرآن الكريم، لابن عيسى عبدالقاهر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠م.

٥. الأطول للعصام، ط، المطبعة السلطانية، ١٢٨٤هـ.

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، تح/محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤١٨هـ .

٧. بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس الحسني الصوفي، تح/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر وطبعة، د/ حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ .

٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى، تح/ محمد علي النجار، ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م .

١٠. بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا حويش، ط١، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢هـ/١٩٦٥م .

١١. تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي، تح/مجموعة من المحققين، ط، دار الهداية.
١٢. تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح/إبراهيم شمس الدين، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، موافق للمطبوع المكتبة الشاملة .
١٣. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، ط، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة، ١٩٨٤هـ .
١٤. تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لمحمد بن جرير الطبري، تح/الدكتور عبد الله التركي، ط١، دار هجر للطباعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
١٥. تفسير الماتريدي "تأويلات أهل السنة" لمحمد أبو منصور الماتريدي، تح/د. مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م .
١٦. تفسير الماوردي "النكت والعيون" لأبي الحسن الماوردي، تح/السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط، دار الكتب العلمية، بيروت .
١٧. تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن الأزدي البلخى، تح/عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٣ هـ .
١٨. تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري، تح/محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م .
١٩. جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري، تح/أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م .

٢٠. دستور العلماء "جامع العلوم في اصطلاحات الفنون" للقاضي عبد النبي الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية/ حسن هاني فحص، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

٢١. دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تح/ محمود شاكر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

٢٢. روح البيان لأبي إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي, المولى أبو الفداء، ط، دار الفكر، بيروت، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع .

٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الألوسي، تح/علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٤. السياق وأثره في الكشف عن المعنى لزيد عمر عبدالله، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، السعودية، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

٢٥. شروح التلخيص، ط، السعادة، ١٣٤٢هـ.

٢٦. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢٧. ظلال القرآن لسيد قطب إبراهيم حسين، ط٧، دار الشروق القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

٢٨. العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية لموسى نهاد، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م .

٢٩. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، تح/ د. عبد الحميد هنداوي، ط، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

٣٠. عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن لعلى أحمد عبد العال الطهطاوى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م .

٣١. الغنى والفقر في القرآن الكريم وأثره على الفرد، دراسة موضوعية لمحمد وحيد معيوف عبد، والنعمان محمد الصالح، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، كلية الآداب، السودان رقم (٨٣٢٧٠٧)، سنة ٢٠١٧م.

٣٢. الفقر وعلاجه في تصور القرآن (دراسة لغوية تفسيرية) لمحمد علي رشد، الجامعة الإسلامية الحكومية، باري سلاويسي الجنوبية، سنة ٢٠١٥م.

٣٣. فوائد في مشكل القرآن لعز الدين بن عبدالسلام، تح/ د. سيد رضوان علي، ط١، دار الشروق، السعودية، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

٣٤. في رحاب القرآن لمحمد حسن آل ياسين، ط١، دار المعارف، بغداد.

٣٥. التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، تح/جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

٣٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ .

٣٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد الثعلبي، تح/الإمام محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م.

٣٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الكفوي، تح/عدنان درويش / محمد المصري، ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .

٣٩. المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي لأبي زكريا محيي الدين النووي، ط، دار الفكر.

٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد بن عطية الأندلسي، تح/عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٤١. مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تح/ يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٤٢. مدخل إلى القرآن الكريم للشيخ محمد عبدالله دراز، ط٣، دار القلم، الكويت، ١٩٨١م .

٤٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد الفيومي الحموي، ط، المكتبة العلمية، بيروت .

٤٤. المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تح/حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المجلس العلمي/ الهند، ١٤٠٣هـ.

٤٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن " تفسير البغوي" لمحيي السنة، أبو محمد الحسين البغوي، تح/عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ .

٤٦. معانى القرآن لأبي الحسن المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط، تح/الدكتورة هدى محمود قراعة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م .

٤٧. معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تح/عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م .

٤٨. معجم ألفاظ الصوفية لحسن الشرقاوي، ط، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

٤٩. المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني لعبدالله إبراهيم جغلوم، ط١، طبعة مركز تفسير للدراسات القرآنية، السعودية،١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م .

٥٠. معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تح/عبد السلام محمد هارون، ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٥١. مفاتيح الغيب " التفسير الكبير" لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ

٥٢. منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، أبو الحسن، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع .

٥٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تح/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

The emplacement of poverty and richness in the Holly A rhetoric study :Quran in the same section of verses

Dr. Abdul-Rahim Ibrahim Abdul-Rahim Mohamed
Rhetoric and Criticism Department, The faculty of The Islamic and Arabic Studies (for males)
Al -Azhar University

Abstract:

This, the research revealed the proportionality of mentioning poverty and wealth and their meanings in the context and the selection of styles, and this contributed to helping to understand the Qur'anic text, clarifying its meaning, and contributing significantly to the links and connections between its verses, and also dealt with the expression of poverty and wealth and what is in their meanings— Especially in the single systems - about some of the miracles in the Holy Qur'an, which has a great impact on the consolidation of faith in the hearts, and the treatment of economic and social problems.

This research consist of an introduction , a preface , six themes, followed by a conclusion and the indexes ،In the introduction: I discuss the importance of the topic and why I chose it to speak about , the previous researches and studies about the topic , the research methodology and the plan of the research .The preface of the research included three elements : The first element : The title and the verses of poverty and richness in the same section of the verses .The second element : The emplacement and it's effect in chosing certain stylesThe third: The subtle differences between poverty and richness in theirs meanings .The first theme : poverty and richness in the context of preaching and counseling .The second theme: Poverty and richness in the context of Allah's

omnipotence The third theme : Poverty and richness in the context of threatening. the fourth theme : Poverty and richness in the context of family provisions .The fifth theme : Poverty and richness in the context of remembrance . the sixth theme : Poverty and richness in the context of the human conditions .The conclusion and iincludes the most important results of the research .The indexes and contain an index for the resources and another for the themes.

Keywords: the Holy Quran, poverty and wealth, one order.